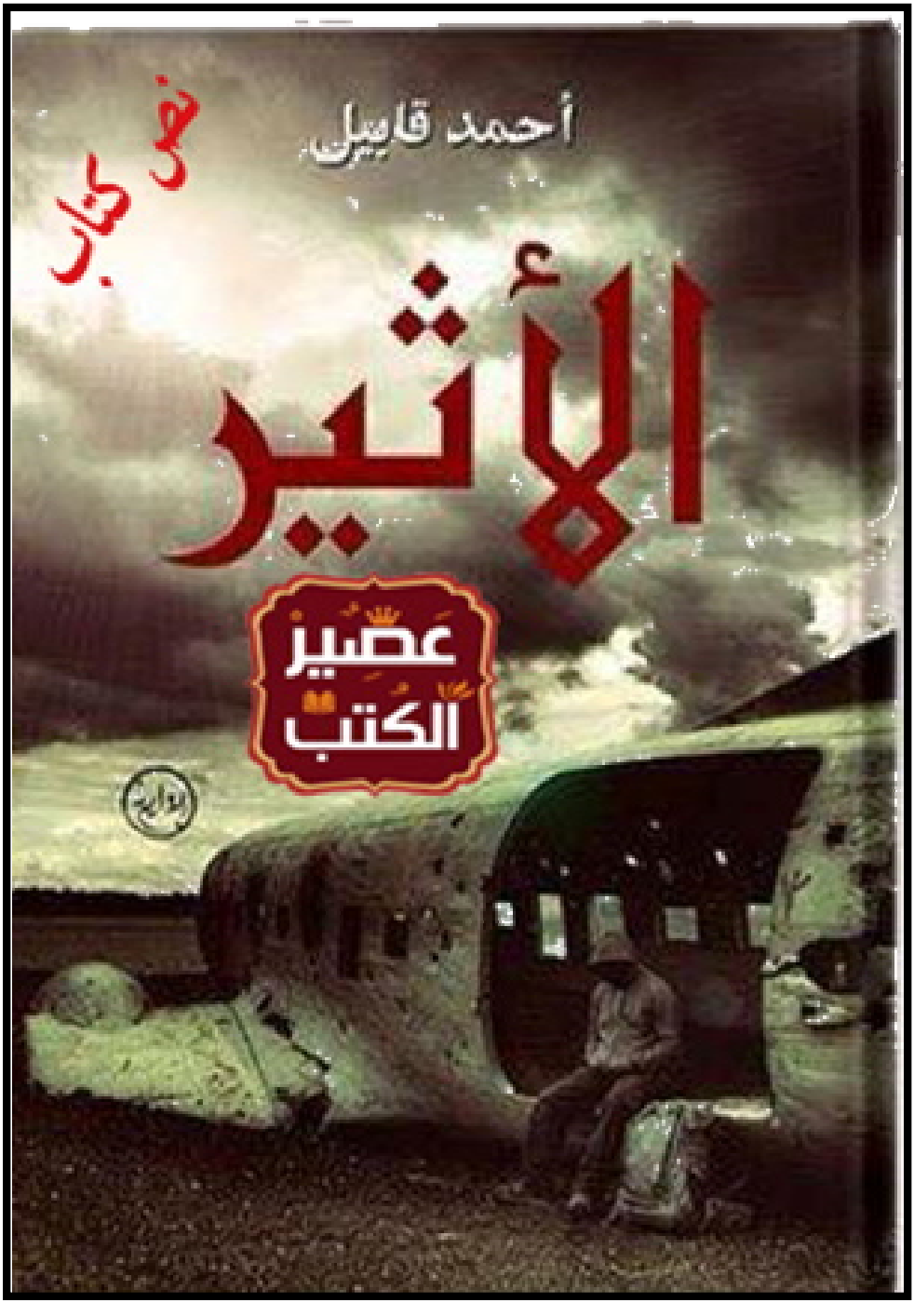
نص كتاب
أحمد قاسم
الأثير
عصير الكتب

الأثير

أحمد قابيل

نص كتاب

فريق جروب

عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice/

هذا الكتاب حصري على جروب

عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد

عنوان الكتاب: الأثير
اسم المؤلف: أحمد قابيل
مصمم الغلاف : أسامة علام
التجهيز الفني : مركز السلام للتجهيز الفني عبد الحميد عمر ٠١٠٦٩٦٢٦٤٧
رقم الإيداع: ٢٠١٤/٢٠٦٢٥
الطبعة الأولى: ١٤٢٦-٢٠١٥
سنة النشر: ٢٠١٥

دار قـلمـي للنشر والتوزيع
مصر - الإمارات
تليفون ١ : ٠٢٠١١١٢٧١٧٩٣٩
تليفون ٢ : ٠٠٩٧١٥٦٩٠٠٣١٩٥١
الموقع الإلكترونى www.qalmi.com
لمراسلتنا info@qalmi.com

إن جميع الأعمال الفنية
والتاريخية والعلمية والشخصيات
والأقوال التى ستقابلك فى هذه الرواية
هى حقيقية تماما، والأحداث المبنية عليها
ليست إلا من وحى الخيال

المؤلف
أحمد قابيل

فتح الملاك الكتاب
ورأى صفحتى به،
رفعنى ملكان أمام الكتاب
وقال لى أحدهما:
«انظر هذه هى صفحتك».

إهداء

إلى أمى الغالية.... لولاكِ ما كنت أتقنت
إلى حبيبتـــــى..... لولاكِ ما كنت أبدعت
إلى أبى الأستاذ الدكتور العالم.....لولاك ما كنت لأكون

شكر خاص لكل من أعطانى الأمل وساعدنى
وشجعنى لاستكمال هذه الرواية..

أختي يسرا قابيل
زميلتي العزيزة سمر مهدى
الأخ الفاضل والكاتب الكبير محمد عصمت

عند كل بداية
تنتهى نهاية
وعند كل نهاية تبدأ بداية

فريق جروب

عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice/

هذا الكتاب حصري على جروب

عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد

النهايـــــــة

لم تحدد أى من الأديان ماهية الروح، ويقال إنه عند الموت يتضح كل شيء... لكن حتى الآن لم يتضح لي أي شيء.

أسبح لا إراديا وسط الظلام... ظلام دامس، مهيب، حضوره طاغ يفرض نفسه عليَّ. لا أملك أيًا من حواسي... أعمى أبكم وأصم. أشعر ببرودة تجتاحني وتفصلني عن أطراف جسدي. كأنما أرقد عاريا على أرض قاسية في ليلة من ليالي ديسمبر. السواد الذي اتشحت به عيناي بث الرعب في نفسي فصرخت بأقصى ما استطعت، فلم أسمع صوتي. صرخت مجددا حتى جف حلقي وحتى بدى لي أن صدري سيتمزق..

لا أسمع صراخى ولا أشعر بجسدى...مرت لحظات حتى ارتخيت في مضجعي وأدركت أنها النهاية.

صراع عنيف داخل عقلي على ما سيؤول إليه مصيري، لم يترك لى هذا الصراع أى مجال للتفكير... مرت شهور أو أيام أو حتى لحظات.. لا أعلم!

بدأت أتساءل: «هل هذا هو الموت؟ إنه غير مؤلم أبدًا!»..

لكن بدأ الرعب يهاجمنى مجددا... رعب لم أشعر به من قبل، هل سأظل حبيس هذا المكان إلى الأبد؟

أليس الموت عملية انتقال إلى عالم آخر حيث الحساب ثوابًا وعقابًا؟

أين أنا من هذا؟ أين أساس عقيدتى؟ أين صحيفتى؟ أين أنا؟

ضباب أسود يحاصرني من كل مكان... بدأت أسمع همسات تأتيني من بعيد..

مرت لحظات ثم بدأت الرؤية تتضح شيئا فشيئا... عالم من الظلام تملأه مخلوقات مجنحة تحمل بشرا عراة وتصعد بهم إلى سماء لم تكن كالسماء التي عرفتها... كانت قاحلة السواد يتخللها نفق مظلم في نهايته نقطة بيضاء من النور... نقطة أمل لكل مسافر عبر هذا العالم.

تساءلت، هل كان «هيرونيموس بوس» هنا قبل أن يرسم لوحته (صعود المباركين) ، أم أن عقلي يتلاعب بى من هول الصدمة ويرسم لى عالما مألوفا؟

جاءت إحدى المخلوقات ورفعتنى إلى بداية النفق ثم تركتنى... أدركت أنه علي إكمال رحلتى بمفردى... بدأت أسير بقدمى التي لا أراها وأحاول حماية عينى من النور الساطع بيدى التى لا أملكها، لم أكد أصل إلي منتصف النفق حتى شعرت بيد سحبتني عائدة وبدأت سرعتى تزيد والضوء في نهاية النفق بدأ يتضاءل حتى أصبحت مرة أخرى في الظلام.

استطاعت الإنسانية
أن تحقق العظمة والجمال
والحقيقة والمعرفة والفضيلة
والحب الأزلي، فقط على الورق

جورج برنارد شو
٢٦ يوليو ١٨٥٦- ٢ نوفمبر ١٩٥٠

الدكتور فاروق الديب أستاذ الفيزياء في جامعة عين شمس. أفنى عمره في دراسة وبحث الفيزياء والكيمياء والعلوم الكونية. أتم عامه الخامس والسبعون ولكنه لازال محتفظا بجسده الرياضي وهيئته القوية بالرغم من شعره الفضي. له عينان بندقيتان ممتلئتان بالحكمة والوقار، فك قوى عريض، ولحية بيضاء مهذبة. كان يتسم بوسامة من نوع فريد وفخامة في الحضور. تراه فتظن أنه أحد أمراء مصر في أزهى عصورها. يرتدي بذلة سواد أنيقة تنحت جسده الممشوق، وتضفي عليه زخات العطر لمسة من الرقي. هيئته وشكله دائما ما كانا السبب في سؤاله عن موعد موعد احالته على المعاش على الرغم من مرور خمس عشرة عامًا بالفعل على إحالته وتركه لمنصب عميد الكلية. وقتها تفرغ لدراساته وأبحاثه الخاصة بالطاقه، والمادة.. ويعد من أول من تكهن بوجود العوالم المناظرة ومن أوئل الباحثين فى مصطلحات فيزياء الظلام والأثير والكون المناظر..

منذ أيام وهو معتكف فى مكتب منزله في شارع دار السعادة بحدائق الزيتون، لا يكلم ولا يقابل أحدًا... فمنذ أسبوع انقلبت عليه الصحافة وبرامج التوك شو بسبب أبحاثه ومقالاته عن عالم الأثير والجسد الروحى، واكتسب لقب ملحد بعد آخر لقاء تلفزيونى له...

أغمض فاروق عينيه محاولا طرد ذكرى هذا اللقاء..

كان الاستوديو صارخ الألوان. إضاءته مزعجة وتملأه شاشات تلفزيونية غير ذات جدوى خلف الكرسيين اللذين استقرت المذيعة على أحدهما.

اتكأت المذيعة على مرفق الكرسي وأخذت تقلب الأوراق التي نقشت عليها الأسئلة. تبدو وكأنها في ورطة حيث طفقت تمعن النظر إلى الأسئلة وقد ارتسمت على وجهها أمارات البلاهة واستعصاء فهم الموضوع عليها.

بدأت المذيعة الحوار بسؤال روتيني: دكتور فاروق ممكن تكلمنا عن آخر أبحاثك؟..

ابتسم فاروق ابتسامة تنم عن الفخر والسعادة البالغة: حضرتك آخر حاجة كنت شغال عليها بحث عن طقوس الإسقاط النجمى عند الهنود.

تلاقى حاجبا المذيعة المهذبين حد الاصطناع باستغراب ثم سألته: ممكن حضرتك توضح لنا يعني إيه إسقاط نجمى؟

أجابها فاروق وشبح الابتسامة جاثم على شفتيه: قبل ما أتكلم على الإسقاط النجمى فيه شوية مفاهيم لازم نكون عارفينها... أول حاجة لازم نفهم أن الإنسان زى ما له جسد مادى عضوى يتكون من أجزاء فيزيائية ملموسة فهو أيضا له جسد أثيري وهو عبارة عن طاقة أو جسم شفاف ممكن نقول متصلة مع الجسم المادي، وينفصل عنه عند النوم، ويكون مرتبطًا بحبل يسمى الحبل الفضي..

اتسعت عينا المذيعة خلف نظارتها في ذهول: «الحبل الفضي؟!».

أجابها فاروق: آه أو الحبل الأثيري...هو حبل يصل بين الجسم المادي والجسم الأثيري.. تنتقل الأفكار فيه من وإلى الجسم المادي.. ويقال إنه إذا انقطع هذا الحبل يموت الإنسان.. بس فى أبحاثى قلت إن الحبل الفضى زى حبل الأفكار لا يمكن قطعه، لكن يمكن أن يضل صاحبه ولا يستطيع العودة لجسده..

فقالت المذيعة ظنا منها أنها استنتجت استنتاجا بارعا: ساعتها الإنسان يموت..

رفع فاروق اصبعه نافيا: لا، أنا قلت يضل مش يموت...

فسألته المذيعة وقد شعرت أنها تفقد السيطرة على الموقف: والجسد المادى اللى حضرتك اتكلمت عليه هيحصله إيه؟

فأجابها فاروق باعتزاز: لسه شغال على الموضوع دا علشان مافيش أى حالة موثقة حصلها إنها تاهت ومقدرتش ترجع. بس فيه دراسات بتقول لو مر عليه فترة معينة بتفقد أعضاءه الحيوية طاقتها ويموت الجسد..

أعادت المذيعة النظر إلى الأوراق خوفا من أن تتفوه بمزيد من الأخطاء: حضرتك ذكرت فى مقالك الأخير لفظ غريب أول مرة نسمعه وهو «الشاكرات» ممكن توضحلنا إيه هى؟..

فأجابها فاروق: دا لفظ هندى، والشاكرة اللي هى مركز الطاقة فى الجسم، والإنسان مننا عنده سبع شاكرات ودى بتتحكم فى الجسد الروحى..

عادت البلاهة تفترش ملامح المذيعة: إزاى حضرتك؟!!

* * *

الحقيقة ليست سوى وهم،
لكنه وهم ثابت

ألبرت أينشتاين
١٤ مارس ١٨٧٩ – ١٨ أبريل ١٩٥٥

الزمان....

مصطلح لم أعرفه ودائما ما استعصى على عقلى إدراكه وتعريفه..

وأظن أن أينشتاين ما هو إلا رجل من المستقبل استطاع اختراع آلة زمن وعاد إلينا بعد تطور لعقل الإنسان دام لملايين السنين ليعرفنا على النسبية حتى يمهد لعقولنا إدراك ما هو آت..

فأنا دائما ما كنت أؤمن أن انتظارى ليوم الحساب سيكون مثله مثل وصولى إلى الدنيا! فرغم أن انتظارى امتد منذ بدء الخليقة لملايين السنين لكنى لم أشعر به قط... أشعر أنى ولدت يوم ولد الزمان! وكأن الزمان مخلوق من مخلوقات الله.. يميته الله تارة ويحيه تارة أخرى، أو أن الزمن ليس كالخط المستقيم كما يرسم في العلاقات البيانية والمؤشرات الهندسية، إنه كالدائرة تتابع نقاطها بنظام دقيق لا حياد عنه لتصل إلى نقطة البداية مرة أخرى. لكن القفز من نقطة إلى نقطة لا تتبعها في الترتيب، أو الحركة داخل هذه الدائرة في خطوط مستقيمة هو أبعد ما يكون عن قدرات الأحياء من البشر.

إنها هبة الله إلى الأموات والنائمين.. هبة التحرر من الزمن.

وأظنني لم أحصل عليها حتى الآن...

* * *

يخرج من باب مخدعه وهو يمسح النوم عن جفنيه كأنما استيقظ توا من نوم عميق. يتثاءب ويتمطى قائلا: ما ألذ هذا النومّ نعمة عظيمة كنا محرومين منها في السماء... ينسى النائم كل شيء.. ينسى همومه ومتاعبه، وينسى الوجود كله. بل ينسى حتى خالق الوجود!

تدركه روعة.. فيهز رأسه وكأنما يطرد وسواسا من أذنيه: أستغفر الله العظيم.. كيف نعد نسيانه عز وجل نعمة؟ لكن ما ذنبي؟ هو الذي جعل النوم نسيانا لكل شيء وجعل اليقظة بعده حياة جديدة. إنه في الحقيقة لنعمة. أليس يجعلنا ننسى الله لنستمتع بلذة ذكره من جديد؟

يسمع فاروق صوت نداء زوجته نادية فيتوقف عن القراءة ويغلق الكتاب سريعا وينزل حفيده من على حجره قائلا: يلا نتغدى وهنكمل بالليل..

جرى الصغير خارجًا من الغرفة وخلفه فاروق. كان الولد الصغير ذو شعر أسود داكن وطويل يغطي رأسه ويتقافز على جبهته. كان وجهه صبوحا ضاحكا وعيناه يدب فيهما عنفوان الطفولة وشقاوة الصبيان. ورث عن جده عيناه البنيتان وعناده. سارا معا في رواق ضيق قصير حتي دلفا إلى الصالون الواسع حيث تنتظرهم نادية. كان البيت بسيطا ولكنه جميل في بساطته. حوائط بلون بيج هادئ مزدانة بصور عائلية تتوسطها آية الكرسي في إطار ذهبي ومكتوبة بحروف ذهبية هي الأخرى. أثاث قديم فقد رونقه. خشبه مطلي باللون الذهبي، وألوان قماشه –والتي بهتت مع الزمن- تنم عن أنه كان تحفة فنية فيما مضى. طاولة مستديرة تقف في منتصف الحجرة وعليها مفرش مزخرف. تقف بجانبه امرأة قصيرة، ممتلئة قليلا، عيناها بنيتان هادئتان وشعرها مختبئ تحت منديل ذو ألوان زاهية. يفيض من وجهها الطيبة والإرهاق وشيء من الاستسلام. نظرت لهما نادية في ارتياب: كنت بتعملوا إيه؟ فبادر الصغير مجاوبا: كنا بنقرا كتاب جديد.

وجهت نادية نظرها لفاروق غاضبة، ورغم غضبها جاء صوتها خافتا رقيقا تاني يا فاروق؟ مش قلتلك بلاش قراية تاني؟ الولد لسة صغير.

أجابها فاروق بنفاذ صبر وبنبرة قاسية: خلاص يا نادية.. أنا مش عايز كلام كتير والولد معادش صغير ولا حاجة..

ونظر بعيدا لينهي الحوار قبل أن يبدأ.

همت نادية بأن ترد عليه معنفة لكنها تراجعت محدثة نفسها بصوت لم يتخط حنجرتها: هو من إمتى بيسمع الكلام...

فريق جروب

عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice/

هذا الكتاب حصري على جروب

عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد

ممفيس

عام ٢٥٧٨ق.م

كان سخموي يهرول في الردهة متجها إلى خلوة الملك غير مصدق أنه بنفسه يحمل هذا الخبر.

توقف لالتقاط أنفاسه. كانت الردهة طويلة لا تحيطها الجدران ويستند سقفها على أعمدة ضخمة تنتهي بنحت متقن لزهرة اللوتس. وكباقي القصر، تمتلئ هذه الأعمدة بنقوش وحفر دقيق ذو ألوان زاهية يغلب عليها اللونين الأحمر والأزرق.

نظر إلى الجدران التي تسرد نقوشها بالتفصيل حكايات الأب المحسن المحبوب..[١]

وبالرغم من أنها تغاضت عن فشله في بناء أهرامات لكنها كانت تسجل جميع إنجازاته وتوسعاته.

دقق النظر في نقش يحكي قصة إرساله أسطولا من أربعين سفينة إلى فيوينيكس[٢] لإحضار خشب الأرز ونقش آخر يحكي حكايات حملاته التأديبية فى النوبة وفكر سخموى مع نفسه قائلا:

لقد استطاع حم أيونو[٣] أن يصل إلى السر الذي سوف يخلد اسم خوبوس[٤] كما خلد من قبله نفرخت[٥] بفضل اكتشافات غري تب تسو[٦].

استجمع قواه مرة أخرى وعاود الركض وانحرف يمينا دالفا إلى طرقة فخمة تلمع جدرانها باللون الذهبي تنتشر فيها المشاعل يمينا ويسارا حتى تنتهي بباب مصقل من خشب الصنوبر مزركش

---

(١) الأب المحسن المحبوب :يقصد هنا سنفروى أو الملك سنفرو والد الملك خوفو
(٢) فينيقيا: لبنان حاليا
(٣) حم أيونو: هو وزير ومهندس الملك خوفو و نطلق عليه الأن هميونو ومن المحتمل أن يكون هو هامان وزير فرعون الذي ذكر في القرآن و يعود بنا هذا الدليل إلى ترجيح أن خوفو هو فرعون وليس رمسيس الثانى.
(٤) خوبوس: هو اسم خوفو.
(٥) نفرخت: هو الملك زوسر أول من بنى الأهرام.
(٦) غرى تب نسو : هو أعلى الألقاب في الدولة بعد الملك و معناه «الذي تحت رأس ملك مصر» و لم يطلق على أحد من بعد أيموحتب لإبداعه في بناء الأهرام.

بصور للملك خوبوس وزوجته حنوتسن. يقف على جانبي الباب حارسان يرتديان نمس[١] الحراس الملكي وغطاء كتانيا أسود يحاوطه حزام عند الخصر يخفي خنجر ويتسلح كل منهما بحربة مصنوعة من قناة خشبية غليظة لها رأس صلب من النحاس، وقد كانت تصنع من قبل من الحجر وملفوف حولها حزمة من الحبال عند منطقة المقبض حتى لا تنزلق من اليد عندما تصطدم بالهدف.

توقف سخموي أمامهم وانحنى وأمسك بركبتيه محاولا لالتقاط أنفاسه مرة أخرى... بدأت أنفاسه تنتظم فرفع وجهه طالبا مقابلة الملك. اتخذ خطوة في اتجاه الباب...

نهره أحد الحراس: كيف تجرؤ!

تحرك كلاهما ضامين حرابهم أمام الباب.

رد سخموي وهو يشعر برعشة ثقة تسري في جسده: عندي أخبار هامة. بحق التمثال[٢] دعني أدخل..

قال الحارس لاعنا: لقد تعديت حدودك اليوم كثيرا يا سخموي..

استقام سخموي في وقفته وكأنه سيملودون[٣] يستعد لشن هجومه على فريسته بأنيابه الطويلة.

اقترب بوجهه من أحد الحراس حتى تلامست أنوفهم، ثم قال: انظر يا نفركا، إذا انتظر هذا الأمر حتى الصباح سوف يكون ثمنه رأسينا معا..

سمع خوبوس الضجة في الخارج فقام من سريره عاريًا محاولًا الوصول إلى مقمعته[٤]. أمسكها وتوجه إلى الباب. فتحه على مصراعيه وعلا وجهه نظرة غضب حانقة. توجه بعينه إلى الحارسين ثم إلى سخموي ثم قال: ماذا يحدث بحق رع؟!

---

(١) النمس : غطاء الرأس و هو علامة ملكية هامة وقد كان في البداية يصنع من الكتان

(٢) بحق التمثال : هنا يقسم سخموي بحق تمثال خوفو الوحيد والموجود الأن في متحف ويقدر بحوالي ٩ مليار دولار. يرجع ذلك لأوامر الملك بعدم صنع التماثيل في عهده إلا للبيت الحاكم

(٣) سيملودون: نمر منقرض من سلالة النمور ذوات الأسنان السيفية وتواجدت هذه النمور في العصر الجليدي ولا يعلم أحد متى انقرضت تماما..

(٤) المقمعة: هي سلاح الملوك وطالما صورتهم النقوش قابضين على خواص أعدائهم ورافعين المقمعة لأعلى وهى فأس ذو مقبض خشبي حاد من طرفيه تنتهي برأس حجري كروي من حجر الظران (الظلط).

بادره سخموي الرد قائلًا: لقد نجح يا سيدي، حم أيونو. يقول إنه وصل إلى الكمال بعد عودته من رحلته التأملية داخل المعبد.

ضاقت عينا خوبوس وعم صمت بدا لسخموي أنه سيكون صمتًا أبديا.

صوت خوبوس خرق الصمت، ولكن هذه المرة كان هادئًا بطيئًا كمن يتلو الصلوات للمعبود رع.

- هل أنت متأكد من هذا الكلام يا سخموي؟

- أجل يا سيدي، لقد بدا حم أيونو واثقًا..

- أنت تعلم إذا ما كان حقًا، فسوف تنالا مكانة لم يصلها أحد من قبل. أما إذا...

قاطعه سخموي ناظرًا أسفل قدميه: نعرف يا سيدي. أرواحنا ملكك في الحالتين، ورقابنا لا تهمنا بدون مباركتك..

رد خوبوس: إذن انتظر هنا..

استدار خوبوسو.. أغلق الباب خلفه ناظرًا إلى الغرفة شارد الذهن فيما سمعه الآن.

سوف يقوم بما فشل فيه والده، ولكنه هذه المرة سيتغلب على نثرخت. سوف يبني أكبر مقبرة في التاريخ. شعر بالحماسة تجتاح جسده إثر هذه الأخبار...

كانت أفكاره كالمحيط الهائج تهاجم رأسه بأمواجها العاتية. انتزعته من تلك الأفكارتنهيدة حنوتسن وهى تتقلب في الفراش. كانت أشعة الشمس تتسلل إلى الغرفة باستحياء لتقبل خديها الورديين. كم هي جميلة! يقال إنها تنحدر من سلالة هاتور[1]..

قبلها خوبوس وارتدى شنتيه[2] واضعًا نمسه ضاغطًا عليه بإحكام فوق حاجبيه. خرج من غرفته وأشارلسخموي أن يتبعه.

خرجا من الطرقة إلى بهو كبير تزينه أعمدة عملاقة يتوسطه عرش مهول ذهبي يتلألأ لونه بانعكاس الضوء على اصفراره البديع. مرا بجوار ذاك الكرسي إلى باتجاه الباب المفضي إلى

---

(١) هاتور : حت حور معناها مرضعة الإله حور ربة الجمال عند الفراعنة

(٢) الشنيت : من الثياب الملكية و يسمى أيضًا بالنقبة و كان عبارة عن قطعة من القماش الحريري تلف حول بدن الملك في اتجاه معاكس لقارب الساعة و يغطى بضفائر أكوصردونية

درج يقود إلى الساحة الكبيرة الملحقة بالقصر.

كان خوبوس يسير وحيدًا مع سخموي، فاليوم ليس بيوم مناسب لموكب أو حراس، يجب ألا يعلم أحد بالأمر حتى يتأكد ويتخذ القرار.

سارا مسافة طويلة حتى وصلا إلى مدخل يربض أمامه تمثالان بمثابة أسود حراسة كان المدخل يفضي إلى طريق ينتهي بأعمدة ضخمة من الحجر الجيري تقود إلى داخل المعبد الذي قد كسيت جدرانه بكتل من الجرانيت الأحمر وكانت أرضية المعبد من أحجار المرمر.

يتميز معبد الوادي عن غيره من المعابد أن بهوه مسقوف بالجرانيت المرتكز على ستة عشر عامودًا جرانيتيًا. يدخله الضوء من فتحات بالسقف.

كأن أحد أشعة الشمس يسطع فوق جسد حم أيونو وهو يجلس على الأرض ضامًا يديه إلى صدره وقد أغلق عينيه في خشوع. وهو يرتدى لباس الكهنة المصنوع من التيل وفوقه جلد نمر..

كان حم أيون يرتجف، فاقترب منه خوبوس ودار حوله حتى أصبح مواجها له. تبعه سخموي ككلب الحراسة وقال لحم أيونو: انهض في حضرة الملك العظيم خوبوس..

نظر له حم أيونو بعينين تحول بياضهما إلى أحمر براق وقد كان يحاول الاستفاقة من حالة الهذيان التي كانت تعتريه منذ عاد إلى هذا العالم.

عندما أدرك أنه في حضرة الملك حاول الوقوف بصعوبة، لكن خوبوس وضعه يده على كتف الرجل وقال له: رفقًا يا كبير المهندسين. قص علي ما رأيت..

طفق يحادثه: سيدي الملك، بوابات النجوم حقيقة وليست خيال وقد عرفت مفاتيح العبور. إنه عالم الأساطير التي تحدث عنه أجدادنا... عالم المعرفة... لا يوجد به حدود ولا قيود تحيط بالعقل. رغم وحشته وويلات ظلامه، فهو جنة الحالمين.

خوبوس: ماذا رأيت يا حام؟ كان هذا خوبوس يسأل حام أيونو وقد نفذ صبره..

حام أيونو: رأيته يا سيدي... تمنيت أن أراه فرأيته..

خوبوس: من؟

حم أيونو: غري تب تسو...

نبضت العروق في رقبة خوبوس، وقال له: هل قال لك كيف فعلها؟..

علت ابتسامة وجه حم أيونو قبل أن يقول: لا.. بل أراني..

أرجع خوبوس ظهره إلى الخلف مواجه أشعة الشمس بوجهه، فاردًا ذراعيه، صارخا من شدة الزهو والفرح.

العقل الواعي
هو القادر على احترام الفكرة
حتى ولو لم يؤمن بها

نجيب محفوظ

١١ ديسمبر، ١٩١١- ٣٠ أغسطس، ٢٠٠٦

رد الدكتور فاروق على المذيعة: أنا مثلا لما رفعت إيدي دلوقتى دى فكره ولدها عقلى وأنتجت طاقة قامت بمجهود ورفعت إيدي وحركتها حسب الإشارة اللى نتجت من عقلي.... طيب أنا لو حاسس بالغضب أو الفرحة أو الحقد، المشاعر دى إيه اللى بيولدها... ما هى دى تعتبر طاقة برضو.....

سألته المذيعة ودلالات الدهشة جلية على وجهها: حضرتك قلت إن الشاكرات ليها أماكن وممكن أتحكم فيها..

رد فاروق بحماس: أيوه طبعا وفيه طقوس للموضوع دا وأشهرها اليوجا..

بدأ صبر المذيعة ينفذ: إيه علاقة الكلام دا بالإسقاط النجمى؟

استرسل فاروق: أقولك الأول يعني إيه الإسقاط النجمى... يعني إسقاط الصورة الأثيرية من الجسم المادي في عالم الأثير.....

لاحظ فاروق أن عينا المذيعة اتسعتا، وشفتاها انفرجتا في إعلان واضح عن أنها لم تفهم كلمة مما قاله.. فأردف: هوضح لك أكتر... حضرتك لما تدخلى تنامى جسدك الأثيرى بينفصل عنك بس فى نفس الوقت عقلك بيكون فى حالة نوم عميق. لكن لو أنا قدرت إنى أخلى جسدي المادي ينام وجسدي الأثيرى يخرج وأنا في حالة وعى تام.... ساعتها هكون تحررت من الكيان الفيزيائى بتاعى وتحررت من حلقة الزمن..

فسألته وقد قررت في قرارة نفسها أن الرجل الجالس أمامها مصاب بالجنون: والموضوع إيه علاقته بالشاكرات؟

أجابها فاروق وقد أنهكه غباء المذيعة: زى ما قلت لحضرتك الشاكرات هى اللى بتتحكم فى الجسد الروحي ولو أنا قدرت أسيطر عليها فهقدر أقوم بعملية إسقاط نجمى كاملة. والموضوع دا أنا موضحه فى كتابى اللي هينزل قريب..

طرد فاروق الذكرى من عقله وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة أخرى غير ابتسامة المنتصر التي زينت صفحة وجهه ذاك اليوم.. ابتسامة مؤلمة مريرة تنم عن الخذلان واليأس: كتابى!!! كتابى الذى لن يرى النور بسبب أصحاب العقول الضيقة.. وعزم الآن على تسجيل مذكراته..

* * *

الخوف ما هو
إلا حاجز وهمى تصنعه
عقولنا لجهلها بما هو قابع
خلف هذا الحاجز

كم هو مضحك أن الخوف يتغذي على نفسه بمرور الوقت.

بدأت أشعر أن لي كيان مادي... يدان ألوح بهما في الظلام، جفنان مثقلان لا أستطيع رفعهما، قدمان مرتخيتان لا اشعر بهما.... عاد لي جسدي مكلوما سقيما. الظلام المفجع لا زال يحوم حولي وينهش جَلدي. أرهف السمع علّي أن أجد أحدا في الجوار ليخبرني أين أنا وماذا سيحل بي..

بدأت أسمع صرخات وضحكات أطفال صغار، وضرب أقدامهم في الأرض وهم يلعبون الكرة....

لا زلت أحاول أن أفتح عيناي. أصارع القوة الخفية التي تبقيهما مغلقتين حتى قهرتها وأزيح الستار عن بصري. كان الضوء شديدا فمرت لحظات حتي تكيفت حدقتاي مع ضوء نهار يوم مشمس لا أعلم تاريخه. نظرت حولي فوجدت نفسي في شارع ضيق تخنقه المباني من حوله. بيوت قديمة تساقطت طبقات الطلاء من على جدارانها، ورسم عليها الأطفال حيوانات وأشجار، ووقع عليها المراهقون بأسمائهم وأسماء عشيقاتهم وزينوا التوقيع بالرسم التقليدي للقلب المسكين الذي تخترقه الأسهم. النساء يمشين جيئة وذهابا يحملن أكياس الخضار والفواكه والخبز في أيديهن وعلى رؤوسهن ويجررن خلفهن أطفالا صغارا.

سمعت صراخا قريبا من أذني، التفت فوجدت أطفالا ينظرون نحوى ويصرخون... كان العرق يتجول على جباههم، ثيابهم أنهكها التراب وصدورهم تعلو وتهبط مع أنفاسهم المتسارعة. يوجهون نظرهم إلى ويصرخون في وجهي: «العبها العبها ياد»..!!

نظرت تحت قدمي فوجدت الكرة معي. ووجدت أن قدماي صغيرتان جدا بهما حذاء ماركة أميجو مقاس يكاد يكون أطفالى! نظرت إلى يداي، كانتا يدا طفل يبلغ من العمر خمسة عشر عاما تزيد عاما أو تقل.....

لحظات وتوقفت أصواتهم.. نظرت إلى الأطفال حولي لا زالوا يصرخون بي لكني لا أسمع إلا طنينا في أذني. توقف كل

شيء من حولي، ثم رأيت فتاة شقراء يملأ النمش وجهها. كانت تسير بخطي مسرعة ولكنها كانت تبدو كملاك يطفو على سطح الأرض دون أن يلمسها. شعرها يركض خلفها كالهالة الذهبية التي تحتضن قرص الشمس. جسدها صغير يعاني من ثقل الحقيبة المدرسية ويحاول المرور من بين الأولاد. فجأة أدارت وجهها تجاهي، فشعرت بقلبي يهوي بين ضلوعي. قبل أن تلتقي عيناها الخضراوان كأوراق الياسمين بعيني المتعبتين، انفجر كل شي من حولي وتحول إلى ضباب أسود..

وأظلمت الدنيا مرة أخرى ...

* * *

فريق جروب

عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice/

هذا الكتاب حصري على جروب

عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد

اسألوا
تعطوا... اطلبوا تجدوا...
اقرعوا يفتح لكم لأن كل من
يسأل يأخذ..ومن يطلب يجد..
ومن يقرع يفتح له

المسيح عيسي ابن مريم عليه السلام
٤قبل الميلاد- الوفاة لم تحدد بعد

عام ١٣٥م

بالقرب من مدينة «فلافيا تيابوليس»

على بعد أميال من الساحل كان يوستينوس[١] يترجل مبتعدا عن وثنية أبائه وأجداده فقد غادر مسقط رأسه فلافياتيابوليس[٢] طالبا المعرفه، عازما على الوصول إلى أصل الكون وأصل موجده وأسباب خلقه.... فمنذ حداثته كان يميل إلى التأمل والتدبر في أمور عميقة سابقة لعمره وظل يبحث عن الخالق الحق في كل الفلسفات...فاتجه إلى الرواقية[٣] التي بالرغم من أنها شاعت وازدهرت فى القرن الرابع الميلادى إلا أنها فى الحقيقة تواجدت من قبل ظهور المسيح بثلثمائة عام وحينها كان يطلق عليها تعاليم زينون نسبة إلى زينون الرواقى، ولكنه لم يميل إليها بسبب رؤياها ومعتقداتها التى تؤمن بأن لله كيان جسمانى منبث فى العالم المادى بمعنى أن الإنسان جزء لا يتجزأ من الله فأعرض يوستينوس عن الرواقية بعد أن أخفقت في أن تشبع رغباته التأملية لاسيما بعد أن عرف أنها تدعو بمنطق الجبرية والحتمية القدرية..

وفى واحدة من رحلاته قابل إحدى الجماعات التى تتلمذت فى

---

(١) يوستينوس ١٠٠ م -١٦٦م : هو يوستينوس بريسكون و يطلق عليه القديس الشهيد وهو من أهم الفلاسفة فى عصره، ويقال إنه اختفى أو مات مقتولا فى روما..

(٢) فلافياتيابوليس: من أعرق البلاد وتقع على سفح جبل عيبل وهو ما يسمى الآن بجبل جزيم وأطلق عليها بلدة الشكيم حتى جاء الإمبراطور الرومانى فسبسيانوس عام ٧٢م وأطلق عليها فلافياتيابولس وهى الآن تسمى نابلس

(٣) الرواقية: هى مدرسة فلسفية تنزع بأن التحكم الذاتى، الثبات وعدم الالتفات بالعواطف، التى قد تفسد باللامبالاة بالمتعة والألم، تجعل الانسان مفكرا سليما، متزن التفكير وموضوعيا. أحد جوانب الرواقية الأساسية هي تحسين رفاهة الفرد الروحية..

اللوكيون[1] على يد أرسطو وحاول مناقشتهم فى مذهبهم (المذهب المشائي[2] لكنهم رفضوا وأصروا أن يدفع لهم رسم أن يعلموه... فاستغنى عنهم وعزم على ترك طريق الفلسفات.

حتى فلسفة فيثاغورس التي ظهرت في عصره ونصت على أن العالم عبارة عن مجموعة من الأشكال الهندسية والأنغام المتجانسة لم تجذب يوستينوس لأنه كان جاهلا بالموسيقى والعلوم الهندسية.

ترك يوستينوس كل ذلك مؤمنا أنه فى يوم ما سيعانق النور... قائلا لنفسه أنه عندما يحين الوقت سوف ينبثق من شرنقته الخانقة مثل الفراشات وأن ظلمة شرنقته ما هى إلا وسيلة وطريق بدونها لن يصل إلى الهداية..

مرت الأيام ولازال يوستينوس يسير هائما فى الأرض حتى تشققت قدماه وسال منها الدم...

وصل إلى ساحل البحر وكانت هذه أول مرة يراه....

لكنه لم يجد الوحشة التى سمع عنها، فدائما ما كان هذا الكائن الغاضب موضع اهتمام الرواة والقصصة، وسمع منهم الأساطير والحكايات..

كانت الطيور تعانق بأجنحتها السحاب والأصداف تنتشر على الرمال الذهبية كالنجوم فى السماء، وكانت الشمس توشك على الغروب في أحضان الأمواج المتلاطمة وعم الكون من حوله بلون حمرة الشفق، وصوت تلاطم الأمواج مع لصخور يبعث الطمأنينة وهدوء يروق الأعصاب وروعة لا توصف..

كل ذلك جعله يشعر بذاته ويفكر فى دقة الصنع والصانع...

إن هذا العمل لم يكن أبدا بالهين.. هناك من خلق هذا وقدراته تتعدى فلسفات المفكرين وحدود عقولهم.

* * *

(١) اللوكيون : مدرسة أسسها أرسطو بعد أن تتلمذ على يد أفلاطون فى (الأكاديميا).

(٢) المذهب المشائي : هي مدرسة فلسفية في اليونان القديمة استمدوا أفكارهم من مؤسس تلك المدرسة الفيلسوف اليوناني أرسطو.

شارع تكسر رصيفه، جو مشمس خانق، زحام السيارات ورائحة عوادمها، صوت جرس مدرسة يتخلله صراخ وتهاليل الصبيان فرحين بانتهاء اليوم الدراسي. تحركت مع الأفواج دون إدراك مني. أرقب الوجوه حولي دون أن أتعرف على أي منها. ومرت لحظات حتى عرفت أين أنا..

إنها مدرستي، مدرسة شبرا الحديثة الإعدادية بنين. وجدت ولدان يصرخان باسمي. ولدان في مقتبل الشباب. بدأ شعر أسود رقيق يتزاحم فوق شفتيهما. لفحتهما الشمس وقد حاولا قدر المستطاع تهذيب شعرهما ومسح العرق المتصبب منهما. كانا كمن يستعد لموعد هام. توجهت نحوهما وجرينا نحن الثلاثة خارجين من شارع دنشواي إلى وجهة لا أعرفها، بعد دخولنا شارع المحمودي عرفت أننا نتجه إلى مدرسه الزهراء الأعدادية بنات، فتيات عديدات يخرجن منها. فتيات خمريات وسمراوات وبيضاوات يمشين وضفائرهن تنسدل على ظهورهن. مبتسمات يثرثرن وهن يستعدن أحداث اليوم ومشاريع الغد.

وقفنا أمام المدرسة وكلا صديقي منتظر في لهفة لرؤيه فتاة ما..

شعرت مثلهم أني أنتظر أحدا لكن لا أعلم من؟....

مرت دقيقة ورأيتها تخرج وهي تضحك مع زميلتان لها كانت تتوسطهما... وقتها أدركت أني هنا من أجلها، من أجل هذه الفتاة ذات الشعر الذهبي والنمش الكثيف. كان النمش يزين وجهها كما تزين النجوم صحيفة السماء. دارت وأعطت وجهها إلى صديقاتها وسارت بظهرها وهي تحدثهم وتضحك. كلما ضحكت أغلقت عينيها بعفوية وألقت برأسها إلى الخلف بتلقائية ودلال يخفت لهما قلبي وتنتفض لهما مشاعري العذراء. كانت تقترب مني دون أن تدرك ذلك حتى أصبح يفصل بيني وبينها خطوة واحدة.....

انفجر كل شيء حولي وتحول إلى ضباب أسود....

* * *

يدنو من باب مخدع رفيقه: استيقظ يا صاح، إلى متى ستظل نائما؟ الشمس قد غربت.

ظهر له من باب مخدعه وهو يفرك عينيه غاضبا: ويلك لم أيقظتني؟ لقد أسأت إلى إساءة لا تغتفر..

رد ممازحا: لو كنت أنانيا لتركتك نائما حتى أستقبل الحسناء وحدي..

- أنت أطرتها مني الساعة..!!

- (متعجبا) أطرتها منك؟

- نعم... كانت عندي وكنت أوشك أن أعانقها وأقبلها..!!

- ها... هذا الذي يدعونه الحلم، هو خيال لا حقيقة..

- ماذا يعنيني..

- لا تغضب يا أخي... عد إلى نومك ولن أوقظك حتى مطلع الفجر..

- لتستقبلها أنت وحدك وأنا نائم أغط..؟!

- أليس هذا ما كنت تريده؟

- كلا، كنت أريد أن تتركني قليلا.. لحظة ريثما أعانق وأقبل..

- ما كنت أدري أنها معك في الحلم..

- بل كنت معنا تدري كل شيء، لقد حاولت ساعة قدومها أن تقودها إلى مخدعك لكنها اعترضت عنك ودخلت معي، ولذلك انتقمت مني..

قاطعه الصبي: جدو... يعني هو مش عارف إنه كان بيحلم؟

رد فاروق على حفيده: لا... علشان كانت أول مرة يناموا..!!

- ازاي؟ كل دة ماكانوش بيناموا..

- علشان دول ملايكة والملايكة مابتنامش..!

- طب يا جدو...

قاطعه فاروق مكملا قراءة..

- ماذا رأيت يا ماروت أرأيت كل ذلك في حلمك؟

- لا تتجاهل ما فعلت يا هاروت..

- وجلال رب العزة ما كان من شيء مما تقول ولو سمعك أحد من بني آدم لضحك منك وسخر..!!

- استعجب ماروت: أحقا يا هاروت ما كنت معنا؟

- هاروت: أنا كنت نائما في مخدعي فكيف أكون معك؟

- ماروت: عجيب!

- هاروت: ولم لا تتعجب من النوم نفسه؟ أليس عجيبا أن ينسلخ أحدنا أثناءه من هذا الوجود ثم يعود إليه حين يستيقظ؟

قاطعه الصبي مرة أخرى..

- جدو احنا بنروح فين واحنا نايمين؟..

نهره فاروق: قلتلك اسمع للآخر وابقى أسأل..

- حاضر... أنا آسف..

تابع فاروق...

- ماروت: صدقت، إن النوم نفسه لعجيب. وإن الحلم لأعجب. سبحان الله! لقد كانت الساعة معي بلحمها ودمها!

هاروت: ذاك طيفها يا ماروت، ولا ينبغي أن تأسف عليه وهي قادمة إلينا بعد قليل..!!

صمت فاروق ثم أغلق الكتاب ونظر إلى حفيده طويلا حتى نطق الطفل: طيفها..؟

أجابه فاروق: أيوه طيفها..

سأله الطفل ببراءة وحيرة: طيب أنا أعرف منين ياجدو إذا كنت بحلم ولا لأ؟

وقتها بدا حديث هامس بين الاثنين خشية من أن تسمعهم نادية.

* * *

قصر بوتالا– ١٦٧٠م

على قمة الجبل بمدينة لاسا في التبت، يقبع قصر بوتالا في أحضان هوانشجان. على ارتفاع شاهق من سطح البحر مكونًا ٣ طوابق ينطوي كل طابق على ١٠٠٠ غرفة على مساحة ٣٦٠ مترًا مربعًا.

يتكون بوتالا من مجموعة من القصور والبنايات جميعها متكئة على الجبل. يبدو تراكبها مع بعضها فخمًا وعظيمًا مهما تغيرت زاوية الرؤية. أسلوبه المعماري، الأسلوبي التبتي التقليدي المتمثل في القلعة الصخرية والخشبية بعوارضها وقمة أسقفها الخارجية الذهبية والأسقف الداخلية المربعة. يحتوي على ممرات ملتوية وأفنية متداخلة. يغمرك القصر من الداخل بشعور رهبة روحانية، فهو غني بالشعور بالإيقاعات الموسيقية والإحساس بالعلو والشموخ.

ويرجع تاريخ بنائه إلى عهد الملك سونغستان قانبو[١] حيث كان دائم التعبد والصلوات من جبل قريب من لاسا فسمي هذا الجبل باسم بوتالا، أي «مقر إله الرحمة» باللغة السنسكريتية. وعندما استقبل سونغستان أميرة أسرة تانغ، الأميرة وأن تشنغ، قرر بناء قصر بوتالا تعبيرًا عن سعادته بالزواج منها.

يقف الآن لوزانغ غياتسو[٢] الدالاي لاما الخامس، والملقب بالكبير والعظيم، بردائه الأصفر الذي يتخذه الكهنة دليلًا على إشراقة نفوسهم، ووشاحه الأحمر القاني، وقد أنهى للتو عمليات إعمار القصر. كان واقفا يتأمل إحدى المخطوطات السنسكريتية التى تم العثور عليها فى عمليات الإصلاح والتجديد والتي تؤرخ أنه العظيم بوذا عندما قارب على سن الثمانين، أعلن أنه سيتم قريبًا التوصل إلى بارينيرفانا، أو الدولة الخالدة النهائية، وأنه سوف يتخلى عن جسده الدنيوي الفاني. ولكن بعد هذا الإعلان ظل

(١) أحد الملوك من قومية التبت وهو الذي نقل عاصمة الديانة البوذية إلى لاسا.
(٢) الدالاي لاما: القائد الديني الأعلى للبوذيين وهو حامي الإيمان البوذي على الأرض.

بوذا في مرض شديد طرحه في الفراش لأربعين يومًا حتى وافته المنية. ويشاع أنه مات بسبب وجبته الأخيرة التي كانت قربانًا من حداد يدعى كوندا..

لكن لوزانغ الآن يعلم الحقيقة، فهذه المخطوطات بخط بوذا نفسه توضح طقوسا غريبة لم يعرفها أو يقرأ عنها أحد من قبل. ظل لوزانغ عاكفًا على دراستها لأيام حتى أيقن أنها الخطوة الأولى لطريق النعيم أو الهلاك، وأنه ليس هناك مفترقًا للطرق، وأن أبواب الجحيم سوف تختلط وأبواب الجنة وستعم الويلات العالم إذا خرجت هذه المخطوطات إلى الناس.علم أيضا عن الوعود التى وعدتت لبوذا وعزم على الوصول إليه.

تذكر لوزانغ أنه تركها الآن وحيدة في غرفته ترقد في صندوق خشبي.

استدار متجهًا إلى غرفته في الجزء الأول من القصر حيث مكان إقامة الدالاي لاما وأماكن الأنشطة السياسية. سار في القصر مارًا بقاعة تسوتشين[1] متأملًا سقفها الأزرق الذي يحكي حكايات بوذا والدالاي الأربعة من قبله. أخذ الصندوق من غرفته وخرج إلى الشرفة الواسعة المطلة على مدينة لاسا... جبال مترامية على مرمى البصر، حقول خضراء وأشجار يجري بينها نهر لاسا كالطفل الهادئ الذي يخطو أولى خطواته..

عاد ببصره إلى الصندوق وبداخله الصراع الأزلي بين الفضول والحذر... هل يضرب بالحذر عرض الحائط ويكمل رحلة بوذا الناقصة؟ هل يكتشف لذة المتعة التي شعر بها بوذا، أم يحرق الأوراق حتى لا يؤول إلى نفس المصير؟ فقد استفاض بوذا في وصف روعة المكان لكنه لم يعد منه في الرحلة الأخيرة... هل نعم بالخلود أو صرعه ذلك الشخص المذكور في مخطوطاته؟ انتظر برهة للاستمتاع بنسمة الهواء المفاجئة التي لاحت وجهه، ثم أخذ الصندوق ودخل إلى غرفته ثم جلس القرفصاء وأغمض عينيه ودخل حالة سكون تام...

(١) أكبر قاعت القصر الواقعة بمركز الطابق الرابع في الجهة الشرقية.

إن العقل البشري
يشبه الجليد العائم في المياه القطبية،
حيث يختفي منه تحت سطح الماء تسعة أعشاره،
ولايظهر للعيان سوى عشر واحد، ويعنى هذا
أن الأجزاء المختفية من العقل هي التي
تقرر سلوك الإنسان أما الجزء الظاهر
من العقل فليس سوى برقع يحاول
الإنسان أن يغطي به عقله الباطن..!!

سيجموند فرويد

٦ مايو ١٨٥٦ - ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩

يقال إن الإنسان لا يستطيع أن يتذكر بداية أي من أحلامه، لكن هل يتذكر بداية حياته؟

هل يتذكر لحظة وصوله إلى هذا العالم؟ ابتسامة والدته له لحظة رؤية عينيه؟ أول لمسة لأبيه وحضنه الدافئ؟ أول خطوة يخطوها وأول كلمة ينطقها؟

إن العقل في هذا الوقت ليس له قدرة على الاحتفاظ بالذكريات....إذا لماذا أرى ذكرياتي تعرض أمامى الآن؟

لم أكن أتوقع أن الموت مرهق لعقلى لهذه الدرجة بقدر ما كنت أتوقعه مؤلما...

أجد نفسي في دار عرض سينمائي تعرض فيلمًا أنا بطله الوحيد. تتوالى العروض وتتغير الأحداث بدون جمهور يصفق أو يستهجن! بدأ إيقاع الأحداث يتسارع ومعه تسارعت دقات قلبى..

سوف أرى النهاية.. سأعرف كيف وصلت إلى هنا...

ظهرت بقعة سوداء في منتصف المشهد، وكأن أحدا من الجمهور ألقى عقب سيجارة على الشاشة، بدأت تتسع وتلتهم المشهد أمامي وأنا أصرخ... وأحاول الاقتراب منها وفجأة وجدت نفسي أسقط! وكأن هناك واد يفصل بينى وبين ذكرياتى...

وادٍ مظلم لا قاع له. ظللت أسقط ساعات وساعات حتى فقدت الشعور بالزمان والمكان.

لا أشعر بنسمة هواء على وجهى أو حتى رائحة الموتى في أنفي. لا أرى إلا الظلام ولا أشعر إلا بالخواء.

* * *

يجلس فاروق داخل مكتبه وهو يتأمله وكأنه يزوره للمرة الأولى. انتقلت عيناه بين الجدران الممتلئة بالشهادات ودروع الشرف. شعر أن حياته كلها قبل رحلته هذه عبارة عن شهادة هي الأخرى، حبيسة هى الأخرى داخل إطار ذهبي وتطل على الدنيا من خلف الزجاج دون أن تشعر بنسمات متعتها.

انتهى فاروق للتو من عزف مقطوعته المفضلة Moonlight Sonata، فقد كانت غرفة المكتب تحتوي على بيانو جراند ذو هيكل خشبي مهترئ وبدالات عاف عليها الزمن..

قام فاروق وتوجه إلى مكتبه وجلس ليعض الوقت متأملا الفراغ ثم انحنى على المكتب ممسكا بالقلم وأمامه أجندة جديدة لم يلمسها بعد، أوراقها زاهية البياض لا تشوبها السطور العادية. دائما ما أحب فاروق هذا النوع، فهو يؤمن أن الكلمات كالحصان البري، يرفض أن يكبح جماحه أحد حتى ولو كانت سطور.

أغمض فاروق عينيه للحظات وملأ صدره بشهقة قوية محاولا استعادة ذكرى شعوره بعد عودته من ذاك العالم، لكنه لم يفلح. كانت تلك لحظة نشوة سريعة اعتقد أنه لن يكون هناك فرق بينها وبين الجنة إلا أن متعة الجنة أبدية ونشوة هذا العالم ما تكاد تشعر بها حتى تختفى كاختفاء شعله الكبريت فى مهب أول نسمه تقابلها..!!

أمسك بالقلم وعزم على الكتابة. نظر في ساعته وبدأ يخط كلماته بيد مرتعشة...

القاهرة – دار السعادة بحدائق الزيتون
١٩٩٠ - الساعة الثالثة فجرا

إنها الساعات الأولى بعد رحلتي الثانية في ذلك المكان. وهذه أول مرة أقرر أن أكتب تجاربي الدنيوية. فكأي رجل أكاديمي، أنتج العديد من الكتب العلمية، ولكني الآن أحاول كتابة ما يمكن أن يطلق عليه المذكرات.

وإني قرأت العديد من تجارب الآخرين وقد استفاضوا في وصف تجاربهم وكنت ما أن أفرغ من القراءة في كل مرة حتى أقول لنفسي إني أستطيع كتابة مثل هذه الخواطر، لكني عاجز الآن أمام ما رأيت. لقد فقدت الكلمات معانيها... فقد الوصف غايته. فما هو وصف الوصف؟

أليس الوصف وسيلة تعبيرية تتخذ من الشخوص والأماكن ومكنوناتها موضوعا لها لتصل إلى عقل الإنسان؟ فكيف لي أن أسرد تفاصيل تخالف فيزياء الكون، عناصر تتخطى قدرة البشر على الإدراك، وانطباعات لا يمكن الشعور بها؟ لقد كنت أتمنى أن أسرد حكايتي إلى العالم بأسره، ولكنني دائما ما كنت ألاقي هجوما مضنيا على أبحاثي، ولو تراجعت عنها لخسرت نفسي... فكما قال المسيح: «ما فائدة الإنسان إذا كسب العالم بأسره وخسر نفسه؟»..

أعلم الآن أن العالم غير مستعد. حتى الآن لم ينضج عقل العامة ليمنح فرصة الاطلاع والتحكم.

الآن سأحاول أن أطفو كالفقاعة فوق سطح بحر هذا المكان، فمهما تعمقت سوف أغرق في دهاليزه دون أن أوفيه حقه..

سأحاول بقدر الإمكان أن أسير بعيدا عن الشكل المتعارف عليه، ولن يكون هدفي نقل خبراتي الضئيلة فقط، بل سأحاول أن ألقنكم الأسرار وسأكشف الستار عن عوالم ستظنون أني فاقد عقلي بوصفي إياها.

سأمنحكم الوعظ، سأرغبكم ولكنى سأرهبكم. فإن كان لإصلاح المجتمعات

باب فمفتاحه النصيحة، ومن الآن سوف تتشكل الأساطير وتتكون الحكايات وتمو غابات الخديعة ويختفى الطريق للحقيقة. ولكنها ثالث ثلاثة، لا يختفون للأبد. وفى هذه اللحظة سوف أتخطى ولعى وشغفى بهذا المكان وأبدا فى الكلام...

منذ ثلاثة أسابيع، وتحديدًا في ليلة الحادي عشر من ديسمبر، قرابة منتصف الليل، نجحت أول تجربة لي. بعد أن حاصرني الظلام وفقدت الشعور بالزمان والمكان، عرفت أني نجحت في إتمام عملية الإسقاط النجمي...

مر وقت طويل وأنا لا زلت محاصرا في ظلام دامس، وقتها بدأ الشك يساورني. تمنيت لو أنه هناك أي إضاءة تنير هذا الظلام المهين، مرت لحظات وجيزة عم بعدها نور ساطع لا مصدر له فى ذاك المكان. كنت أقف عاريًا يحيطني اللون الأبيض من كل حدب وصوب. لا أعرف أن كنت في غرفة جدرانها وسقفها مكسوة باللون الأبيض، أم أني في صحراء رمالها كسمائها البيضاء. فكرت في جسدي العاري وشعرت بالضيق من انكشاف عورتي. سمعت صوت حفيف، ثم وجدت بجواري ملابسي... بنطالي القماشي وقميصي الكاروهات والبلوفر الزيتي مع حذائي الجلدي. حينها علمت أن كل شيء وأي شيء سأتمناه سوف يتشكل أمامي.

أغمضت عيني وتمنيت مروجًا وأنهارًا وقصورًا وأشجارًا مثمرة. شعرت برياح شديدة وفتحت عيني مرة أخرى لأجد نفسي في مكتبي...

* * *

فتح حسين عينيه وهو يطوح بيده في الهواء محاولا إغلاق منبه الموبايل في أسرع وقت قبل أن يهرب النوم من عينيه ويبدأ الصراع اليومي بينه وبين عقله..

العقل: قوم يا ابنى عندك شغل..

حسين: هنام أحسن...آخد أجازه أو خصم مش هتفرق كتير....

العقل: قوم يا ابنى متخليش حد ملوش لازمة يقولك كلمتين فى جنابك.

مرت لحظات الصراع حتى انهار الجسر الواصل بين جزيرة الأحلام والخناقة.

قام حسين مترنحا محاولا الوصول إلى الحمام لبدء طقوسه اليومية.

حسين الديب شاب خمرى اللون ، ذو عينين بندقيتين وشعر أسود ناعم. جسده متناسق نسبيا من ممارسته لكرة القدم بشكل دائم. خريج فنون جميلة ويعمل في فرع لإحدى شبكات المحمول. شخصيته متناقضة مع نفسها تماما. انطوائي في تفكيره.. اجتماعى في أفعاله وتعاملاته.. «الكئيب المبتسم» هكذا كان يطلق عليه أصدقاؤه.... عاشق للنحت والرسم.. ومهووس بعصر النهضة وفناني هذا العصر بوتتشلى، مايكل أنجلو، دافنشى، برينللى وغيرهم... يتسم بالذكاء وقوة الملاحظة.. يستطيع أن يلاحق بعقله فكرتين متناقضتين في اللحظة عينها.

فتح حسين الخزانة المتهالكة الرابضة بجانب باب الغرفة. أكوام من الثياب تنفجر في وجه صاحبها بمجرد أن يفتح باب الخزانة فتسقط على الأرض العارية من أي سجاد. يأخذهم حسين بتأفف ويلقي بهم على سريره الفوضوي.

الفوضى هي السمة المميزة لحياة حسين، وبما في ذلك شقته. تراكم التراب على الطاولات. بقايا أكياس الطعام الجاهز تفترش الأرض. كتب الفن المعماري والمجلات الثقافية ملقاة على مرمى البصر. طلاء الجدران سقط كاشفا عما أسفله من طوب ومحار. رائحة المنزل تنم عن أن قاطنه نسي وجود نافذة تجدد هواء المكان. رائحة خانقة مشبعة بعبق طعام جاهز من الليلة الماضية، النافذة مغلقة تنسدل عليها ستارة كانت في شبابها بيضاء اللون. إلا

أن عامل الزمن أضفى لها لونا بنيا يفضح إهمال صاحبها.

انتهى حسين من ارتداء قميصه السماوى وربطة عنقه الزرقاء وبنطاله الأسود. تابع نفسه في المرأة متحسرا على أن أسفل هذا الشاب الوسيم رجل كهل أطاح به الزمن مرات ومرات حتى ظهرت تجاعيد الشيخوخة ولكن ليست على وجهه إنما داخل قلبه.

خرج من الغرفة إلى صالة منزله حيث قطع الأثاث القليلة مدثرة بأكوام من الملابس والمجلات والأكياس البلاستيكية. يظهر من تحت الأكوام يد مقعد خشبية تآكل طلاؤها وفقدت بريقها. تتوسط الصالة طاولة مستطيلة وضعت عليها بعض الأكواب الزجاجية والتي يرقد في قاعها بقايا الشاي، إلى جانب الأطباق البلاستيكية والملاعق المتسخة. نظر حسين حوله إلى تلك الفوضى دون أدنى اكتراث، وكأن عينيه اعتادتا المشهد. أخذ حسين مفاتيح المنزل من على طاولة صغيرة بجوار الباب وخرج.

نزل حسين من العمارة القديمة التي يقطن بها. اتشحت واجهته بلون أصفر اكتسبته من عمرها الطويل. درجات السلم متآكلة الأطراف يحذر من يعتليها من سقوط مفاجئ قد يباغته في أي لحظة. باب البيت الحديدي يصدر صريرا مزعجا كالبوق معلنا عن خروج سكان البيت إلى الشارع.

ترجل حسين من شارع عز الدين إلى شارع الترعة البولاقية وصولا إلى ميدان رمسيس حيث آلاف من البشر يتسارعون ويهرولون ويتجاوز أحدهم الآخر دون أدنى اهتمام أن لكم الذي بجواره. الميكروباصات تحتل الزوايا والنواصي دون أن تترك متنفسا للمارة والسيارات. أصواتهم تعلو وهم ينادون «أكتوبر، العاشر،...» رائحة الدخان خانقة اختلطت مع عرق البسطاء المتجمهرين حول وسائل المواصلات. الفسحة التي كان يقبع بها رمسيس فارغة بعد أن «طفش» وغادر الميدان.

من ميدان رمسيس، دلف حسين إلى الفجالة حيث مطعم مصطفى فهمى بيك -كما كان يطلق عليه.

وصل حسين إلى عربة فول مختبئة من زحام رمسيس أسفل كوبرى المشاه يصاحبها رجل في أواخر الستينيات نقشت على وجهه ابتسامة دائمة رغم الجنون الذي يحيط به.

لم يستطع حسين أن يقاوم رغبته في الابتسام ما أن رأى وجه

عم مصطفى المتفائل: «صباح الخير يا عم مصطفى»..

بصوت ملؤه الحماس أجابه: صباح بالزيت الحار يا أستاذ حسين

ضحك حسين من رده ثم قال: ده إنت مشكلة يا عم مصطفى.. جهز طلب وصاية وبصلة على ما أجيب لبان من الكشك..

عم مصطفى: من عنيا..

انتهى حسين ثم خرج إلي ناصية شارع رمسيس بعد أن ضرب باكو اللبان ليخفي رائحة الفول والبصل ما كان أن ينتهى حتى وقف أمامه ميكروباص نزل منه فتى صغير يصرخ بأعلى ما عنده: أول عباس أول مكرم..

قفز حسين داخل الميكروباص شاكرا حامدا الله أن اليوم وجد كرسيا فارغا أمام الباب ولن يضطر أن يصارع أجساد الركاب للوصول إلى داخل الميكروباص.

واكتمل الميكروباص في أقل من ثانية. اندهش حسين من ذلك وجاء في ذهنه لعل سرعة المصريين في الركوب هى ما ألهمت زويل لاختراع الفيمتوثانية!

توقف الميكروباص أمام المستشفى القبطى لتنزل منه أمرأة عجوز ويركب مكانها ثلاثة رجال. تحسر حسين على القميص المكوى ولكن فجأة راوده شعور أن هذا الموقف حدث له تماما ويعرف ما سيحدث الآن.

مر المشهد أمام عيناه.. لقد رآها من قبل... رأى هذه الحادثة ويجب أن يمنعها! على بعد ٥٠ متر فتاة شقراء نحيلة تعبر الشارع. تمر بجوار الميكروباص دراجة بخارية مسرعة تحمل لوحة ق د هـ ١٣٤ يقودها شاب متهور قد قص شعره على طريقة «حلقة القوقاز» ووضع النظارة «الكوول» فوق أنفه.

يتفاجأ قائد الدراجة بالفتاة أمامه فيحاول الوقوف. تنزلق الدراجة على الأرض ويسقط الشاب ويصدم الفتاة. لم يقدر سائق الميكروباص على التوقف في الوقت المناسب فيدهس كلا منهما.

مرت الأحداث أمام حسين في لحظات وجد الفتاة لازالت تقف على الرصيف فتح زجاج الميكروباص قبل أن تمر الدراجة بجوارهم وصرخ في الفتاة وهى تهم بالعبور: يا آنسـة!!

تتوقف الفتاة فجأه وينظر حسين إلى الاتجاه الآخر ناحية الدراجة ليجدها تمر في سلام.. يتنهد حسين ويعود برأسه داخل الميكروباص ليجد الرؤوس كلها تنظر له في استغراب!

وسمع حسين رجل في نهايه الميكروباص يقول: شباب وسخ قليل الحيا!

لم يعر حسين لهم أي انتباه. كان مشغولا مع عقله مندهشا مما حدث.. كيف له أن يتنبأ بما سيحدث؟ كيف رأى الحادث في خياله قبل أن يراه بعينيه؟ انجرف حسين مع تيار أفكاره المتسارعه حتى أعاده صوت مشبع بالبلغم: اللي نازل أول عباس يا بهوات..

نزل حسين من الميكروباص تاركا أعين الركاب تتبعه غير مبالٍ ودلف إلى داخل شارع عباس العقاد حتى وصل إلى الفرع... فرع خدمة العملاء لأحد شركات المحمول. كتب اسم شركة المحمول في كل أركان المكان وعلى المنشورات الإعلانية المبعثرة على الطاولات وفاترنية العرض الكبيرة التي استقرت في منتصف الفرع. مكاتب الموظفين تحتل الحائط الأكبر المواجه لباب الفرع وقد جلس عليه الموظفون في محاولة منهم للاسترخاء واستعادة هدوء الأعصاب استعدادا لمواجهة غضب العملاء وغباء بعضهم.

موظف الأمن يقف بجوار الباب وتأففه ينم عن ملل شديد أصابه في ساعته الأولى من العمل. دخل حسين الفرع بمناورة سريعة ليتلافى النفخات المتتالية الصادرة عن موظف الأمن. ألقى التحية عليه ليتفادى غضبه ثم ألقى التحية على عامل النظافة: صباح الخير يا حمدي..

فأجابه حمدي بابتسامة هادئة: صباح الفل يا أستاذ حسين..

حمدى عبد المولى شاب نوبى الأصل، أسمر اللون، جبهته عريضة، أنفه أفطس وشفتاه غليظتان. حاصل على الدبلوم. ترك عائلته فى مدينة جرجا بمحافظه سوهاج قاصدا القاهرة- أو مصر كما يطلقون عليها هناك - باحثا عن عمل. وبعد أن خيبت المحروسة آماله هى الأخرى لم يعد له حديث إلا عن السفر إلى إحدى دول الخليج...

ما تكاد تسقط عيناك عليه فى غير أوقات العمل حتى يهيأ لك أنه مدير شاب لإحدى الشركات.... لكن نهارا لا تكاد تخلو يده من

ممسحة أرض يدور بها طوال ساعات العمل داخل الفرع حتى أصبح حسين يعتقد أنه إذا فصل الممسحة من يد حمدي سيجد قطرات الدم تسيل منهما.

* * *

أقف على حافة واد عميق ممتلئ بالجثث والأشلاء المتراكمة على شكل هرمى... تعلوه فتاة فى رداء أبيض تتصاعد عليه الدماء من الأسفل كنبات اللبلاب... شعرها ذهبي متناثر حول رأسها...لا أستطيع رؤية ملامحها من ردائها المتطاير..

لكنها كانت تشير إلى وتصرخ أنه لم يفت الأوان....ثم أشارت إلى يمينها فوجدت طريقا مظلما داخل الوادى، عاودت النظر إليها كانت تستجديني بعينيها الخضراوين أن أدخله... كان في عينيها قليل من الألم وكثير من الرجاء... ترددت للحظات ثم اتجهت نحوه، كان عبارة عن منحدر شديد تظلل جوانبه تلال مهيبة بطول الطريق لكنها لم تكن تلالا من الحجارة أو الرمال، بل كانت خزائن من الحديد كخزائن البنك كل منها يحمل رموزا غريبة بلغة تشابكت حروفها حول نفسها... لغة لم أرها من قبل....

وجدت سيدة عجوز تنتظرنى فى منتصف الطريق وتمد يدها إلى... كانت ذات شعر فضي وعينياها زرقاوان بلون السماء ووجهها يبعث طمأنينة غريبة لم أشعر بها من قبل، شددت على يدها الممدودة المرتعشة لكى أمسك بها، توجهت إليها وإذا بها تصطحبنى إلى خزانة تحمل رمزًا لم أره من قبل..

نظرت إلى السيدة بجوارى كانت تبكى، دموعها تنساب في أغوار التجاعيد على وجنتها وعلى الجانب الآخر جرح غائر فى جبهتها والدم يسيل منه بغزارة.

أشارت بيد مرتعشة إلى الخزانة وكانت تصبو بعينيها إلى وتعاود النظر إلى الخزنة مرة أخرى كأنها تطلب منى أن أفتحها. بعد أن اتخذت أولى خطواتي نحو الخزنة، وإذا بها تركتنى وسارت نحو بداية الطريق حيث تلال الجثث ثم استدارت وقالت: علشان ترجعوا لازم تموتوا..

أدارت لي ظهرها مرة أخرى. سارت ببطء في الاتجاه الآخر وهي تجرجر قدميها خلفها والدماء تتصبب من وجهها..

.. علشان ترجعوا لازم تموتوا..

ظلت ترددها إلى أن اختفت...

اختفت هي بينما لم يبرح صدى صوتها من المكان..

* * *

خرج حسين مسرعا من الفرع بعد أن أنهى عمله.. محاولا الوصول إلى الزمالك في أسرع وقت للحاق بآخر ساعات معرض «عصر النهضة» في قاعه بيكاسو بشارع حسن عاصم.. وما أن وصل حسين حتى منعه الأمن: ممنوع يا أستاذ..

حسين: هو إيه دا اللي ممنوع!

رجل الأمن: المأكولات والمشروبات..

حسين: آه طب ثواني..

كان حسين يحمل بيده نصف ساندوتش شاورمه وعرف أنه سيندم إذا تخلى عنه فالحالة الاقتصادية لا تسمح إلا بوجبتين فقط في اليوم، فطار وغداء ولو فيه خروجه يبقى فطار وعشاء.

حاول حسين الانتهاء من الأكل سريعا أمام باب المعرض غير مبال بنظرات الزائرين المشمئزة....

أنهى حسين عمليته بنجاح بعد أن تخللها تجشؤات وضربات على الصدر ودخل إلى المعرض.

كان المعرض بسيطا في بنيانه، ثريا بما يحتويه. علقت اللوحات على جدرانه كما تعلق الأوسمة على الصدور. طلاء أبيض هادئ لا يشتت الانتباه. رواد المعرض بدت على وجوههم السعادة الممزوجة بالاستمتاع وهم يتأملون اللوحات.

سار حسين بينهم وهو ينفض من يديه بقايا الخبز ويتابع بنظره اللوحات.

ما أن وقعت عيناه علي أولى اللوحات حتى ابتسم مندهشا... كان يعرف أنها لوحة مقلدة لكن لم يكن متوقعا أن يكون هذا المعرض المحاكي بهذه الروعة!.....

عصر النهضة بالإيطالية Rinascimento وتعنى الولادة من جديد، وتطلق هذه الكلمة على فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى الحديثة، وحيث ظهرت حركة ثقافية وفنية أضاءت شعلتها من إيطاليا وامتدت لاحقا إلى أوروبا ويؤرخ لها أيضا بسقوط القسطنطينية. بدأت تحديدا في القرن الرابع عشر ووصلت إلى ذروة تأججها في القرن الخامس عشر. ما يميز تلك الفترة

ويجعلها أحد أعظم فترات التاريخ الأوروبي أنها شهدت تحرر الفنون من القيود الدينية المقترنة بالعصور الوسطى، فاهتم الفنانون والمفكرون بالفنون الرومانية والإغريقية التي كانت سائدة قبل مرحلة التقهقر الثقافي المقترن بالعصور الوسطى – أو كما يقال عنها «عصور الظلام». ورغم التأثر الواضح بالفنون والثقافات القديمة، إلا أن الهدف من ذلك كان دراستها واستغلالها كملهم ومحفز لإعادة تنشيط الحياة الثقافية.

تحرر فنانو عصر النهضة من هيبة الاقتراب من الدين، فأصبحت الأفكار الدينية مواضيعا للوحات ومنحوتات كما كان الحال عند الرومان والإغريق. وقد خلقت هذه الحركة مبادرة بين الفنانين والعلماء لتخطي حدود الفكر الديني الغيبي ومناقشة الفن والأدب والعلم بحرية. ومن أعظم الفنانين فى هذا العصر مكيافيللي ومايكل أنجلو ودافنشي...

تحرك حسين بين اللوحات حتى قابل لوحة معركة انغيارى لدافنشي والتى يطلق عليها أيضا ليوناردو المفقود؛ نظرا لأنها فى الوقت الحالى ضائعة ولا يعلم أحد مكانها وكان المشهد المحورى المتعارف أنها تصور أربعة فرسان يتصارعون من أجل الراية فى معركة انغياري... لكن حسين دائما ما كان يرى أعدادًا مختلفة من الفرسان فى كل مرة يرى الصوره فى جريدة أو مجلة، وهذه المرة كان أمامه صراع قائم بين سبعة من الرجال وبالإضافة لهم يقف أحد الرجال قصار القامة بعيدا فى ميمنة الصورة يتابع المعركة بابتسامة خبيثة.. اقترب حسين من اللوحة لكنه لم يكن هناك أحد غير المتبارزين السبعة. شعر حسين بالرعب للوهلة الأولى ولكنه أقنع نفسه أنه تأثير إرهاق العمل..

أكمل طريقه إلى لوحة مولد فينوس لساندرو بوتيتشيلي لكن هذه اللوحة لم تكن مقلدة تماما، كانت ممتلئة بالأخطاء. كان هناك نقطة سوداء فوق رأس فينوس.. اقترب منها وحدق فى النقطة وجد أنها طائرة.

تسمر أمام اللوحة مندهشا كيف لطائرة الظهور فى لوحة مولد آلهة الحب والجمال؟

لكن جذب انتباهه أيضا أن الشاب والفتاة فى اللوحة كانو بدون أجنحتهما، فقط شاب وفتاة فى أحضان بعضهما يسقطون؟ ترك حسين اللوحة وتابع طريقه مفتخرا بقوة ملاحظته محاولا

اكتشاف الأخطاء في كل لوحة ثم خرج من المعرض وهو في حالة من النشوة الفكرية متجها إلى وسط البلد ليكمل سهرته مع رفقاء الليل كما كان يطلق عليهم..

* * *

فريق جروب

عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice/

هذا الكتاب حصري على جروب

عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد

من يهزم رغباته
أشجع ممن يهزم أعداءه؛
لأن أصعب انتصار هو
الانتصار على الذات

أرسطو

٣٢٢ ق.م - ٣٨٤ ق.م

الثلاثاء في ٢٤ ذي القعدة عام ٣٠٩هـ

كان الحلاج يجلس في زنزاته مرددًا: إنى أخشى أن أكون حبيبًا، غير محبوبًا..

ظل يرددها وأمامه مجلد من ورق مكتوب في بعضه بخط اليد، والباقي غير مكتمل..

كان المجلد مغلفا بجلد سميم ومحفور على غلافه اسم «الكشف»..

وقد لقب ابن المغيث الحسين بن منصور بالحلاج لكشفه أسرار القلوب، أي حلاج الأسرار. وقد كان الحلاج من أكثر الرجال الذين اختلف في أمرهم الناس على مر العصور. فقد رمي بالكفر، واتهم باتصاله بالقرامطة، وبعض أتباعه اعتقدوا ألوهيته بسبب طقوسه الغريبة..

كان الحلاج بعد كل جلسة من هذه الطقوس يقول: أنا الحق..!!

واليوم ينفذ فيه عقوبة الإعدام بسبب سماع الخليفة العباسي المقتدر بالله بأمور طقوسه ورده على سؤال أحد الأعراب الذى سأله عما فى جبته فأجاب الحلاج: مافى جبتي إلا الله..!!

وقد ولد الحلاج بفارس، حفيدًا لرجل زرادشتي[1] ونشأ وترعرع وسط العراق. وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين. نقل عن الحلاج من الكرامات وخوارق العادات ما لم ينقل عن غيره. وكدأب أي انحراف يبدأ صغيرًا ثم ما يلبث إلا أن يتسع مع مرور

(١) الزرادشتية: تعرف في عصرنا بالمجوسية وهي ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية وكانت الدين الرسمي للأمبراطوريات الخامنشية..

الوقت. هكذا آل مذهب الصوفية في هذه الفترة من العام ٨٠٠م إلى ٩٥٠م. فقد كان العصر العباسي آنذاك يشهد صراعًا محمومًا بين المذاهب والتيارات الدينية والسياسية..

أغلق الحلاج الكتاب وقد أجفله الصوت في الخارج. قام من خلوته واتجه إلى النافذة الصغيرة في منتصف زنزانته وأمسك بالحديد ولصق خده به محاولاً معرفة ما يجري في الساحة الأمامية للسجن. كان بعض الجنود يحملون صليباً خشبيا كبيرا متأهبين لتثبيته في وسط الساحة.. ابتسم الحلاج ساخرًا: تهدي الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي..!!

لم يكن يهاب الموت، ظل متماسكًا وقويًا وبدا وكأنه كان في انتظاره. لكن كان الفزع يعتريه عندما يفكر في احتمالية ضياع دعوته ومبادئه من بعده. ومع ذلك ظل أملًا الصلب، فالموت هو غاية الحالمين... هو من يحول السجناء إلى شهداء... هو من يؤجج النيران ويحولها إلى حرائق... وهو من يشعل الفكرة ويحولها إلى ثورة..

عاد من شروده وعرف أنه ليس له من الوقت إلا القليل. استدار وهرول نحو كتابه وفتحه ليكمله. بدأ يخط بيد ثابتة كلمات عن عروجه الأخير..

الآن لم يعد لي من الوقت شيئًا.. أعرف أنه يقف بالخارج منتظرًا ومترقبًا يعد علي أنفاسي. وأعلم يا إلهي أنهم اجتمعوا اليوم لقتلي تعصبًا لدينك وتقربًا إليك، فاغفر لهم فإنك إن كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما هم ينتون به.. سوف يتبرأون من صوفيتي، ينكرون إيماني، يشككون بإسلامي، وسأنسب إلى الزندقة والشعوذة. وأرجو أن تهب رياح الألطاف وتكشف الحجب عن أعين القلوب فيتجلى فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ. والآن وأنا مدرك أنه لن تسنح لي فرصة إتمام كتابي هذا، فسوف أذكر فيما تيسر لي من الوقت عروجي الأخير وكشفي ومعراجي. فإن لي معراجا كما كان للنبي معراج...!!

في هذه العرجة، قد بلغت ما وراء الحجب الحسية العلوية والسفلية وقد اطلعت على حقائق الموجودات وواجدهم. أنا دائما ما أحببته، وكانت عبادتي له لا طمعًا في الجنة ولا مخافة من النار. فيا إلهي إذا كنت أعبدك خيفة منها فأحرقني فيها، وإن كان طمعًا في الأخرى فاحرمنيها..

الآن وقد وصلت أريد أن أقابله، توجست في بادئ الأمر، وشعرت بالرهبة ففكرت أن أرى مستقبلي أولا، لكن ظهر رفيقي مرة أخرى..!!

لم أعرف أبدا أن أحدد شعوري تجاهه. كان دائما ما يسديني النصح، لكنه كان يصيبني بالقشعريرة كطاعون يسري في جسدي ما أن أنظر إلى ابتسامته الواسعة المخيفة وحاجباه المتداخلان..!!

رحب بي وجلسنا ثم بادرني السؤال: ما بك يا أبا الغيث أراك مشتت الذهن وأنت تعلم أنك لست في المكان الذي تتشتت فيه الأذهان..؟!!

ظللت برهة حتى أدركت أنه علي الرد، وأخذت وقتا طويلا في التفكير حتى قلت أخيرا: الله... أريد أن أراه...أن أعرفه..

قام من جلسته ووقف أمامي: أنت بالفعل تعرفه. إنه بداخلك.. فأنت هو وهو أنت..!!

فى البداية لم أفهم ما يعنيه لكنى بالفعل شعرت به فى أعماقى وهممت أن أسأله عن كينونته فلم يعطني فرصة لذلك، اختفى من أمامي كالبرق وشعرت ببرودة شديدة ثم...

أجفل الحلاج وأسقط القلم من يده عند سماعه صوت باب زنزانته يفتح بقوة، يفسح الطريق لأربعة من الجنود ليسوقوه إلى مكان صلبه. أشار لهم بيده حتى لا يلمسوه ومشى بينهم رافعا رأسه فى عزة حتى وصل إلى مرقد الصليب. تأمله الحلاج متذكرا وعود رفيقه له عند لقائهما الأول..

كان الحلاج يسير هائما غير قادر على الرؤية حتى ظهر له ذاك الرجل بابتسامته المفزعة..

وقال: لا تخف فما أنا إلا مرشدك هنا..

سأله الحلاج: وأين أنا الآن هل أنا خارج حدود الكون..؟!

الرجل: بل أنت خارج حدود جسدك البشرى، وهنا ستتجلى الحقائق وترى النور..... ثم تحرك مبتعدا وأمره قائلا: سر معى..

تبعه الحلاج وقد بدأت تظهر أمامه فى الظلام أشباح وخيالات لرجل وامرأة لا يعلمهما..

كانا يقفان فى حديقة رائعة الجمال تثير فى النفس شهوة النظر والتأمل وكانت عين الرجل يملؤها الفضول وهى متعلقة بإحدى

الأشجار المثمرة..

توجه إلى الشجر وقطف ثمرتين .. عاد الرجل إلى المرأه القابعة على الأرض حاملا فى يده الثمرتان أعطاها إحداها ونظرا إلى بعضهما متوجسين ثم أكلا الثمرتين..

تصدع العالم من حولهما واختفى المشهد من أمام الحلاج..

نظر إلى رفيقه سائلا: ماذا حدث..؟!

الرجل: لقد فقد آدم نفسه.. فقد ألوهيته..

الحلاج: الم يكن يأكلها ليسعى للخلود والألوهية..!!

نعم لكن لم تكن هى الوسيلة الصحيحة لذلك؛ فعوقب بفقده لكل شيء وأنت الآن عندك فرصة للخلود..!!

الحلاج: كيف..؟!

الرجل: إنه بداخلك..!!

سأله الحلاج وقد أدركت قلبه الروعه والجمال..

- من..؟!!

- الله..!!

دهش الحلاج بالرغم من توقعه الإجابة وسأله:

- من أنت..؟!

رد عليه الرجل بصوت هادئ نشر الفزع فى معدة الحلاج..

- أنا الخطيئة الأولى..!!

* * *

تعود حسين فى الأيام التى تليها أجازة العمل الأسبوعية أن يعود إلى المنزل بعد الفجر... دخل إلى شارع الترعة والذي يكاد يخلو من المارة أو السيارات في ذاك الوقت. شارع بسيط.. محلاته مصفوفة على الجانبين، وإن كانت مغلقة في ذاك التوقيت. مبان سكنية مرتفعة تتسدل الملابس النظيفة من شرفاتها. كلاب تعوي وأخرى تختبئ بجانب إطارات السيارات. شق الظلام صوت ارتطام شديد قفز له قلب حسين واقشعر له بدنه... نظر خلفه ليجد جثة على الأرض ظهرت عليها آثار الارتطام المبالغ فيه وكأنها سقطت من السماء. رفع رأسه إلى السماء فوجدها تهاجمه بأشخاص يسقطون وهم يصرخون ويستنجدون إلى أن تقطع أصواتهم لحظة سقوطهم. وكأن سقوطهم يفقدهم النطق، أو أن روحهم تزهق في تلك اللحظة دون تأخير..!!

استيقظ حسين مفزوعا... دب الرعب في قلبه ولم يقوَ على الحركة... وضع يده على يسار صدره في محاولة يائسة لتهدئة الضربات المدوية الصادرة عن قلبه... فرك عينيه وحمد الله أنه كان كابوسا لا أكثر. لكن إلى متى سيظل هذا الكابوس يطارده؟

إلى متى سيظل يستيقظ على شعور من يخطو على درجة سلم غير موجودة؟

نظر حسين إلى ساعته الرقمية بجواره وجد أرقامها تتغير بسرعة شديدة حتى توقفت عند الساعة الواحدة والنصف وأربع دقائق ثم سمع صوت هدير قوى... فنظر إلى الأعلى فلم يجد سقف الغرفة ووجد فتاة تسقط من السماء وتقترب منه..!!

فصرخ بكل ما لديه من قوة وأصبح يسمع صوت طرق شديد في أذنيه..!!

استيقظ حسين على صوت طرق متواصل على باب الشقة

تبعه نداء صوت الحاج عبد الحميد شكرى صاحب العقار.....

وهو رجل أعطاه الله قدرا وفيرًا من الغتاتة والرذالة، كان صاحب وجه منتفخ وذقن قصيره غير مهذبة ومنتشرة فى وجهه حتى كادت تصل إلى وجنتيه، عينان غائرتان سوداء بياضهما شديد الاصفرار، تنتشر الدهون في جسده حتى أصبح يشبه قطعة الكرواسون المنكمشة من الطرفين منبعجة فى المناطق الاستوائية.....

تشعر به قبل حضوره بسبب الروائح المنتشرة من الأماكن التى لا تصل إليها الأمطار بسبب شده تلاصق تضاريسه وكثرة الكهوف والهناجر الممتلئة بالأعشاب والحشائش..!!

بادر الحاج عبد الحميد بصوته المختنق ببقايا السجائر على صدره: صباح الخير يا أستاذ حسين..

أجابه حسين مشمئزا: نعم..؟!

أجابه الحاج وقد علا صوته: لا اله الاالله ما ترد الصباح يا أستاذ هو أنا جاى أشحت منك..؟!

أجابه حسين بنفاذ صبر: عايز إيه يا حج..؟

أجابه الحاج بنبرة متهكمة: هكون عايز إيه!..إيجار الشهرين اللي فاتوا يا سعادة المدير..!!

قال حسين وقد احمرت أذناه غضبا وبدأ العرق يقطر من جبينه: حاضر يا حج خدهم منى آخر الشهر..

علا صوت الحاج مجددا احتجاجا: لاااااااااا.....أنا مينفعنيش الكلام دا..... البوء دا آخد منه كتيير، أنا مش فاتحها الوفاء والأمل هنا..!!

حسين مستنفذا آخر ما عنده من صبر: ما تتكلم كويس يا عم إنت.... أقولك..... خد الـ ١٠٠ جنيه دى، هى اللى معايا دلوقتى..

نظر الحاج إلى الورقة المطبقة التي مد حسين يده بها، ثم أعاد النظر إلى حسين قائلا: لا مينفعش..

أعاد حسين يده إلى جيبه: يعنى أعملك إيه..؟! بقولك هيا اللى معايا مش عاجبك خلاص خليها..

وقبل أن يشتد الحوار بينهما أكثر من ذلك سمعا صوتا يأتى من الدور العلوي ينادى: بابا..!

في أول أيام سكن حسين في هذا العقار لم يكن يعلم إذا كان هذا صوت ست مسترجلة أو رجل متنسون..!! لكن بعد فتره قابلها وجها لوجه، نسخة أنثوية من عبد الحميد..!! تزيد عليه فقط في ارتفاع التضاريس الشمالية العلوية وانبعاج الهضاب الجنوبية الخلفية.

«نسمة» اسمٌ لم ولن يكون أبدا علي مسمى! كيف جاءت الجرأة لأبويها بتسميتها هذا الاسم؟! ولو كانوا اطلعوا علي المستقبل لولوا منها فرارا.

- يا بابا ماما عاوزاك..

نظر لها عبد الحميد وأجابها: حاضر يا نسمة جايلك..

ألقت نسمة التحية وهي تنزل درجات السلم بدلال مصطنع واحمرت وجنتاها خجلا : أستاذ حسين ازيك..

حسين اكتفى بإيماءة رأسه وهو يحاول السيطرة على تعابير وجهه.

وجهت نسمة كلماتها إلى والدها: إيه يا بابا مش أسلوب دا تعامل بيه الناس المحترمة اللي عندنا في العمارة..!!

امتعض عبد الحميد قائلا: خلاص يا بت انجري قدامي.. وأكمل موجها كلامه إلى حسين: لينا كلام تاني يا بيه إن شاء الله..!!

الله يخدك يا شيخ.... قالها حسين في سره..!!!

تحرك عبد الحميد صاعدا السلم ومارا على نسمة التى ظلت متسمرة مكانها تتطلع في حسين وقالت بصوتها المخنث:

- عامل إيه يا أستاذ حسين..؟!

حسين: آه طيب..

نسمة: هو إيه دا اللى آه طيب..؟!

حسين وقد امتعضدت ملامح وجهه وسقطت أطراف فمه حتى وصلت إلى رقبته: ماشى..

نسمة: أنت هتفضل كده عايش لوحدك..؟!

وحاولت إلقاء نظرها داخل الشقة لترى جبال الفوضى..!!

إنت محتاج واحده تهننك وتاخد بالها منك ومن شقتك..!!

حسين وقد أوشك على إلقاء ما فى بطنه فى وجهها:

- يا أبلة نسمة ربنا يسترك أنا مش عارف أصرف على نفسي ولا على الشقة أقوم أجيب بقرة أصرف عليها..؟!

نسمة: قصدك إيه يا أستاذ حسين ببقرة دى..؟!

حسين: مقصدش حاجة يا ستي..أنا قصدى أن... بقولك إيه أنا نسيت.. أن ورايا حاجة مهمة مع السلامة..

أسرع حسين وأغلق الباب فى وجهها قبل أن تنطق بكلمه أخرى..

عاد حسين إلى غرفته عازما على عدم القيام بأى شيء يضر أو ينفع فى أجازته تلك..

التقط إحدى أعداد مجلة (the artist's magazine) وألقى نفسه مرة أخرى فى السرير متأملا سقف الغرفة... أصبح الآن موجودا..

ابتسم وبدأ يقلب فى المجلة فاحصا حصيلة المعارض الفنية والتشكيلية لهذا الشهر حول العالم..

وصل إلى الصفحة الأخيرة ثم ألقاها فى الأرض فسقطت بجوار إحدى الكتب الرابضة على الأرض..

لم تكن دهشة حسين من وجود الكتاب على الأرض، كانت دهشته من وجود الكتاب نفسه في شقته... فهو لم يراه من قبل.. قام من السرير فى كسل شديد والتقطه... ولحظة لمسه للكتاب رن هاتفه المحمول فقفز فزعا وترك الكتاب وعاد للرد على المتصل..

حسين: ألو....أيوه.... الحمد لله تمام.... تمام ماشي... بالليل على القهوه....بس متتأخرش... سلام..

* * *

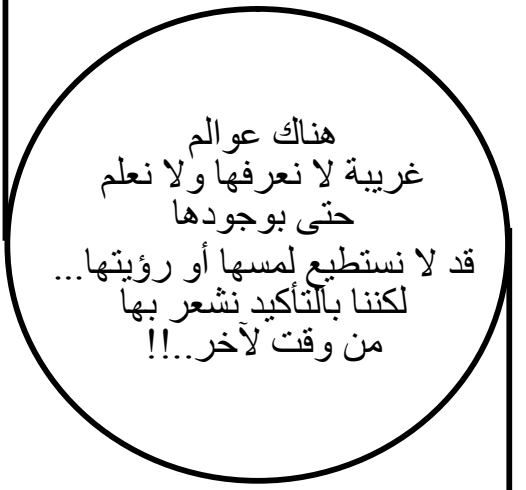
هناك عوالم
غريبة لا نعرفها ولا نعلم
حتى بوجودها
قد لا نستطيع لمسها أو رؤيتها...
لكننا بالتأكيد نشعر بها
من وقت لآخر..!!

القاهرة – دار السعادة

يدخل فاروق مكتبه ويغلق الباب بالمفتاح. يخرج مجلدا صغيرا من مكتبه بأيد مرتعشة، يفتحه وينظر أين توقف..

زفر طويلا ثم شرع في الكتابة...

بعد عودتي، أصررت أن أجرب مرة أخرى. وعند وصولي هذه المرة بدأت أتخيل بعد الأشياء الواقعية البسيطة. شجر، كرسي، وبيانو.

جلست وبدأت أعزف لنفسي إحدى مقطوعات يوهان باتشيلبيل. شعرت بالعطش فظهر أمامي كوب زجاجي من المياة. مددت يدي وشربت، وشعرت بلذة لم أعهدها من قبل. نظرت حولي وقد أصبحت الآن أجلس في وسط مرج أخضر بديع حتى قلت لنفسي إني في الجنة لا محالة. تحركت بين الأنهار متأملا روعة المكان... ما أجمل هذه الطبيعة الساحرة التى جعلتنى أغوص داخل أفكارى بعيدا عن واقعى وعالمى المرير وفكرت أنى لم أحمد الله من قبل على عيني التى أرى بها السماء العالية والبحار المنبسطة والأنهار العذبة...شمس وقمر، ليل ونهار، حقول خضراء وقفار مظلمة، كون ممتد وخالق بديع تنزه عن كل شيء تطلعت بنظرى إلى السماء... كانت صافية كوجه الأطفال والشمس تلوح فى الأفق خلف الجبال التى تكسوها أشجار الصنوبر ناشرة خيوطها اللامعة بين فروعهم لقد تحول عالمى إلى حورية لا تقدم لمعشوقها إلا اللذة والمتعة بدأت أسمع ترانيم وهمهمات موسيقية تبعث الطمأنينة...

ابتسمت وتذكرت مقولة: من صدقت سريرته. انفتحت بصيرته..!!

وفكرت أنه بعد أعوام طويلة ستظهر الحقيقة لتطفو كالزيت فوق الماء. وسيعلم العالم بأكتشافى المبهر..!!

ما أن بدأت أفكاري تتشتت حول مستقبلى الدنيوى حتى بدأ العالم ينهار من حولي، وبدأت الأرض تخور من أسفل قدمي واحترق كل ما يحيط بي، ووجدت نفسي في مكتبي مرة أخرى.

وأنا الآن وبعد مرور أسبوعين، سأحاول العودة مرة أخرى. لكنني سأتخطى هذه التجربة التي أنا على وشك بدئها ولن أذكرها هنا لأنها لا تخص أحدًا غيري...

أغلق فاروق المجلد وجلس على مقعد قراءة وثير يقبع في ركن الغرفة وفي أحضان مكتبة فخمة وعريقة.

أغمض عينيه، وبعد وقت ليس بقليل، اعتلت وجهه ابتسامة وبدأت الدموع تنزف من عينيه المقفلتين...

ظل هكذا لساعات ثم بدأت ملامحه تتغير كأنه يصارع شيئًا ما. ولوح بيديه أمامه وكأنه يعاني ألما شديدا بهما.. بدأ يتصبب عرقًا ويتشنج في مقعده ويحاول أن يصرخ، لكن فمه كان يتحرك دون أن ينبس ببنت شفة.

فتح عينيه فجأة وصارت حدقته تدور في الغرفة في فزع دون أن يحرك ساكنًا. فجأة ارتفع صوت تنفسه كأنما كان يحبس أنفاسه منذ الأزل. هوى أرضًا على ركبتيه قبل أن يبدأ قلبه في استعادة انتظامه. قام فاروق واتجه إلى شباك مكتبه ليستنشق الهواء. بدأت أفكاره فى الغليان كالحمم البركانية. من هذا الرجل؟! لماذا بعث فيه الرعب ما إن رآه؟!

أغلق فاروق الشباك وتوجه إلى سريره وارتمى باحثا عن الراحة..

شعرت نادية بتقلبه ولكنها خافت أن تفتح معه حديثا وتبدأ فى معاتبته ويبدأ هو الآخر فى إلقاء اللوم عليها.. وسينتهى الحوار بكونه معترضا على تدخلها فى حياته العلمية التى يعتبرها أكثر قداسة من عائلته وحياته الزوجية..!!

فعادت تصارع محاولة النوم وظل هو الآخر ساعات وساعات يترجى الراحة لكن لم يحن عليه النعاس... فقام من سريره وتوجه ليستحم وهو يفكر فى محاضرة اليوم التى سيلقيها بعد بضع ساعات..

نظر إلى يديه المرتعشتان وشعر بأن قدميه لا تستطيعان حمله كيف سيقابل الطلبة وهو فى هذه الحالة.. فكر فى الاعتذار...لكنها ستكون الأولى فى تاريخه وهو لا يريد ذلك..!!

أنهى استحمامه ولف خصره بمنشفة قطنية وخرج متجها إلى دولابه وارتدى ملابسه دون الانتباه لما يختاره ودون حتى كييها..!!

فتح باب الشقه ونظر خلفه ناحية مكتبه وهو يتخيل أن يكون ذلك الرجل سيكون فى انتظاره فى المكتب عند عودته..!!

* * *

فريق جروب

عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice/

هذا الكتاب حصري على جروب

عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد

البورصة....أكبر مقاهى المحروسة.

ما أن تستقر عيناك على شارع صبرى أبو علم خلف البنك المركزى، يمكنك أن تقابل جميع فئات الشعب المصرى منتشرين فى أحد المقاهى العشرة..

شباب تتعالى أصواتهم مشجعين لمبارة كرة قدم وآخرون في المقهى المجاور يتحدثون عن كليب دينا الجديد وشاب يأكل آذان أقرانه محدثا إياهم عن كاميرته الجديدة وأنه قام بعمل صفحة على الفيس وهيبقي فوتوجرافر عالمى....

وفى نهاية شارع السعيدي المتفرع من شارع صبرى يقع مقهى البستان...غالبا ما يكون رواده من الأدباء وأصحاب الكتب والمدونات، أما التكعيبة فهى مقهى الصمت...لا يرتادها فئة معينة لكنها غالبا ما تكون معقل من يريد أن يبتعد عن الزحام والدوشة..

كان حسين جالسا وحده ممسكا بالكتاب الذى عثر عليه فى صباح هذا اليوم ملقى فى أرض حجرته..

يظهر على غلاف الكتاب صورة نمر منقوشة باللون الذهبى يحمل اسم «النهضة التاميلية» وجده في مكتبته بالصدفة ولا يذكر متى اشتراه.

والتاميل هم جماعة وثنية أصلها الهند ينتشر بعضهم فى سيريلانكا وماليزيا وقلة فى سنغافورا وترجع أقدم سجلاتهم التاريخية إلى أكثر من ألفى عام.. وتعتبر هندسة وبناء المعابد والنقش على جدرانها من أبرز الفنون التى تميزوا بها، لكن كان لهم أيضا النصيب الأكبر فى علم الروحانيات والطاقات الكامنة بداخل الإنسان.. وهم أول من وضع أساسيات علم الشاكرات..

تصفح حسين الكتاب متأملا النقوش والرموز بداخله ولم يمر عليه وقت حتى شعر بالملل وألقى الكتاب ناظرا فوق رأسه حتى ظهر الهدف المنشود على مرمى البصر..!!

شخص سمين إلى درجة كبيرة يرتدى نظارات طبية وقميصا قطنيا باهت البياض مع بنطال جينز بسيط، يمشي مطوحا يديه حوله مباعدا بين قدميه وكأنه مصاب بالتهابات فى مناطق ممنوعة الاقتراب والتصوير.

كان محمود صبرى صديق العمر الذي لم تستطع الأيام أو الدراسة أن تفرق بينه وبين حسين، مهندس، متزوج ويعمل فى

شركة جنوب القاهره لتوزيع الكهرباء.

بادر حسين بابتسامة تحمل شيئا من العتاب: كنت فاكرك مش هتيجي..

أجابه محمود بروح مرحة تعمد بها تجاهل ما يقصده حسين: مقدرش يا نجم أفوت قعده معاك...دا أنا بتلكك علشان أسيب البيت..!!

سأله حسين وهو يضحك: ليه ايه اللى حصل تانى..؟!

أجابه محمود بعد أن سحب كرسيا وجلس عليه وقد ظهر الامتعاض على قسمات وجهه: مافيش يا سيدي...ضربت فى دماغى إنى أروح الجيم..

قال حسين باستغراب: وايه المشكلة في كده..؟!

عدل محمود من جلسته حتى لا يسقط من الكرسي: مراتى يا سيدي أول ما قلتلها هنزل الجيم علشان أخس شوية، رقعت بالصوت ولمت عليا العمارة..

حسين: نعم..؟!

محمود: قال إيه بخونها..!!

قال حسين وقد اتسعت عيناه اندهاشا: نعم..!!

لا زال محمود يحاول أن يجد وضعية مريحة يجلس بها: بتقول يا سيدي طالما أنا عايز أخس يبقى فى وحده تانيه فى حياتى..!!

قال حسين وهو يتابع نظرات عدم الارتياح على وجه محمود: هيا مش كانت دايما بتشتكى من كرشك دا!!

اعتدل محمود أخيرا في جلسته وقال: أهو اللى حصل، ودلوقتى كل يوم تعملى صنف أكل شكل علشان وزنى يزيد..!!

نظر إليه حسين وقال ساخرا: يزيد أكتر من كده فين...!

أجاب محمود هازئا: أديك قلت...دا أنا مبعرفش إيدي من إيد الكنبة وأنا قاعد فى بيتنا..!!

فقال بابتسامة: ليه هو أنت منجد فين؟!

سأله محمود: الانتريه..؟

فتابع حسين بعد أن ضحك مطولا: لا إيدك؟

فكتم محمود ضحكته وقال لحسين هازئا: تصدق أن إنت عيل.. أنا قايم ماشى..!!

أمسك حسين بقميص محمود وهو يضحك: استنى بس الطاولة جايه أهى..

* * *

فتحت الخزنة ونظرت بداخلها لأجد علبة سوداء عتيقة صغيرة منقوش عليها نفس الرمز الذي كان علة الخزنة بلون ذهبي. أمسكت بها وفتحتها. كانت مبطنة بقماش القطيفة الأحمر ويرقد بها مجسم صغير لطائرة.

نظرت بجواري إلى المرأة فلم أجدها عاودت النظر مرة أخرى إلى الطائرة، كانت طائرة ركاب عادية، غير أنها كانت مشطورة نصفين وجناحيها محطمين..

فجأة سمعت صوت صرخات جهورة مروعة تصدر من فوقي. نظرت ولكن لم يكن هناك إلا سماء حمراء بلون الدم!

وبدأ العالم ينهار من حولي كأنما ضربة زلزال مدمر.. خزائن تتساقط في كل مكان. أضرمت النيران من حيث لا أدري، وبقايا الخزائن والحجارة تتساقط حولي من حيث لا أحتسب.. يخيم الظلام فجأة فيقطعه وهج انفجار لا أعلم له مصدرا. ينتابني الفزع وأحاول الهروب والعوده إلى بداية الطريق حيث التقيت العجوز.. لكنه أصبح الآن مسدودا بتلال من الخزائن المحطمة التي يأكلها اللهب.

نظرت خلفي بحثا عن مخرج آخر فوجدت فتاة جميلة رشيقة ترتدي زي مضيفات الطيران وقد تمزقت ثيابها وشعث شعرها.. وعيناها مفتوحتان في ذعر وتلوح لي بيدها. عدوت نحوها فأمسكت بيدي وركضت في الاتجاه الآخر من الطريق. ظلت تركض وهي متمسكة بذراعي وتجرجرني خلفها فما كنت أملك سوى أن أهرول على أثرها. نظرت إلى الطريق المدجج أمامي وأجفلت حين أدركت أننا في طريقنا إلى حافة الهاوية..! حاولت الوقوف لكنها كانت أقوى مني ظلت ممسكه بيدي حتى وصلنا إلى الحافة وقفزت بينما ما زالت متشبثة بيدي، فقفزت بدوري.

* * *

استيقظ حسين متأخرا ونظر إلى الساعة فزعا، ورغم فزعه قام من مرقده بهدوء مترنحا:

أهو اتاخرت واللي كان كان..!!

سار إلى الحمام وهو يزيح أكداس الملابس من طريقه بقدمه.

وقف في منتصف الصالة، ولوهلة شعر بالأسف على نفسه. حزن من وحدته ومن حياته الرتيبة وافتقاده لوجود شخص يكترث لأمره. شعر بالأرض أكثر برودة، وبالجدران أكثر شحوبًا. نظر حوله وكأنه يرى بيته للمرة الأولى. الفوضى والكآبة التي تحتل المكان ما هي إلا انعكاس لروحه العجوز وحياته المضطربة... شعر بالمرارة تعتصره وبغصة في حلقه، فهز رأسه كأنما يلقي بالأفكار الحزينة خارج رأسه...

ارتدى ملابسه وارتشف من خمسينة الشاي بضع رشفات قبل أن يغلق باب الشقة خلفه ويبدأ رحلة كفاحه عبر وسائل المواصلات. وصل إلى العمل، لم يفتقده أحد... يوم روتيني كباقي الأيام...

لا يوجد أي تغيرات إلا تعطل آلة النداء الآلي وتكرارها لنفس الرقم..

الآلة: عميل رقم١٣٤ شباك رقم٥.....

كان شباك ٥ هو شباك حسين لكن لم يتوجه إليه أحد..!!

ظلت الآلة مكررة مرات ومرات حتى أشار حسين لزميله كريم في الاستقبال فذهب إليه وقال له في نفاذ صبر: فين العميل دا والبتاعة دي مش راضيه تسكت ليه؟

أجابه كريم باستياء: شكلها باظت استنى لما اشوفها.

انفجر حسين وقد أزعجه صوت النداء الآلي، وكأنه صديق ثرثار: فين الزفت ١٣٤دا..؟!!

أجابه كريم وقد رفع يديه أن اهدأ: اساسا أنا ما طلعتش الرقم

ده خالص انهارده..!!

خفض حسين صوته بعد أن أدرك خروج أعصابه عن السيطرة طب افصلها لو سمحت..

توجه كريم إلى غرفة خلف حسين ثم عاد قائلا بابتسامة مصطنعة: فصلتها يا سيدي..

شكره حسين ودفن رأسه بين يديه في محاولة لتهدئة صداع عارم أصاب رأسه.

أنهى حسين عمله وغادره إلى المنزل متجها إلى رمسيس حيث نفق المشاه المار بمحطه مصر... ممر ضيق مكتظ يسهل انتقال رواد المحطة من رصيف إلى آخر...لكن حسين وجده مغلقا للاصلاحات..

دلف حسين إلى محطة مصر.. مبنى ضخم ذو سقف عال يتسم بالفخامة. أناقته لا تتسق مع محيطه الخارجي. تدلف من باب المحطة حيث الأجهزة الأمنية، فتأسر عيناك العواميد التي تحتضن الباحة الرئيسة وقد توجتها زهرات اللوتس الذهبية. السقف الشاهق مزين بزهرات لوتس ذهبية قد تسللت من الأعمدة المتصلة بالسقف. يتوسط الساحة مجسم لهرم زجاجي، يعتليه هرم آخر مقلوب، قد نتأ من السقف وتلاقى طرفه المدبب بطرف الهرم القابع على الأرض. كلا الهرمين الزجاجيين مضاء من الداخل بلون أصفر أضفى لهما وهجًا من الجلالة. على يسار المحطة، باب خشبي هائل مطوق بزخارف الأرابيسك الخشبية المؤنقة يتوسط مخرجي المحطة. عبر حسين المحطة وهو ينظر حوله باستمتاع. دلف إلى رصيف القطار. رغم الفخامة الجلية في ساحة المحطة، إلا أن الأرصفة اتسمت بالبساطة. الكراسي محملة بالمسافرين ينتظرون وصول قطاراتهم. باعة الجرائد والمجلات والكتب جالسون على كراسيهم أمام محلاتهم الصغيرة في انتظار الزبائن. محلات البقالة مكتظة. مرر حسين عينيه على كل تلك التفاصيل مرور الكرام، حتى استقر بصره على فتاة ذات عينين زرقاوين وشعر أسود. ملامحها مألوفة بشدة... كانت تجلس وحيدة، تنظر حولها وملء عينيها الرعب كأنها في انتظار شيء ما، شيء مخيف. ينتفض جسدها بعنف وهي تبكي..

فكر في الاقتراب لسؤالها، لكنه تردد وأكمل طريقه كأنه لم يرها. سار ببطء وهو يشعر بغصة في حلقه، وكأنما يرتكب خطأ

ما..

وسط شعور غير مبرر بالذنب، راوده شعور آخر كثيرا ما كان يراوده هذه الأيام -أعرف ما سيحدث لها لو لم أعد الآن ستموت.. سوف تلقى نفسها أمام أحد القطارات.

عاد حسين مسرعا فوجد المقعد الذي كانت جالسة عليه فارغا. شعر بقلبه ينقبض بينما تزايد إحساسه بالذنب تجاهها. تحركت عيناه في ذعر بين الأفواج المهرولة محاولا رؤيتها لكن دون جدوى.. قال في قرارة نفسه أنه ما دام رأى ما سيحدث من قبل فإنه بالتأكيد يعرف أين.. حاول التذكر لكنه فشل، كيف لأحد أن يسترجع ذكرى لم تحدث؟!... ثم سمع صوت الإذاعة الداخلية:

القطار رقم ١٩١٣ الموجود على رصيف ٤ سوف يتوجه إلى المخزن نرجو عدم الركوب من السادة المسافرين..

اتسعت عيناه فزعا حينها وتوجه سريعا إلى هذا القطار...تحرك القطار متوجها إلى المخزن ،وما أن خرج من نطاق أرصفة المحطة حتى رأى الفتاة واقفة بعيدا فوق نفق أحمد بدوى منتظرة أحد القطارات القادمة لتلقى نفسها أمامه..!!

قفز حسين من القطار وارتطمت ركبته بأحد القضبان وانقطع سرواله، وظهرت الدماء منه، رفع وجهه وهو لايزال جاثما على الأرض ممسكا بركبته... سمع صوت احتكاك عجلات القطار المتجه نحو الفتاة فى محاولة يائسة للتوقف..

لم تكن المسافة بينه وبين الفتاة كبيرة؛ لكن إصابته بالتأكيد ستمنعه من الوصول إليها فى الوقت المناسب... استجمع حسين قواه وصرخ وهو يجرى ثم رمى نفسه نحو الفتاة ودفعها بعيدا عن القطار وسقط هو أمامه، ورأى الفتاة تصرخ وهى جاثية على ركبتيها ومرفقيها بعيدا عن القضبان قبل أن يستسلم ويغمض عينيه..

* * *

لم تستطع
أى من النظريات
وضع تفسير منطقى أو مقنع
لحقيقة هذا الرجل

جامعه عين شمس – كلية العلوم

داخل إحدى المدرجات

دخل المدرج كعادته ناشرا الهدوء والسكينة وكأنه ساحر يلقى تعويذة صمت ما أن يمسح المدرج بعينيه..

تطلع إليه الطلاب في شغف معهود... فطالما تميز الدكتور فاروق بهذه الكاريزما التى تبعث الرهبة فى قلوب الطلاب كانتشار النيران فى الحقول لكنه بالرغم من ذلك ظل أقرب أعضاء هيئة التدريس إليهم، فبالرغم من كبر سنه إلا أنهم عند تعاملهم معه لم يشعروا بوجود ما يطلق بفجوة الأجيال وكانوا دائما يطلقون عليه العجوز الوسيم أو المحفوظ.. وجاء هذا الاسم من اعتقاد بعض الطالبات أنه عندما يغادر الجامعة يضع وجهه فى مبرد أو ثلاجة حتى يتم حفظه من عوامل التغيير والشيخوخة..!!

لكن وعلى غير العادة كان مختلفا هذه المرة....وجه هزيل ظهرت به التجاعيد.. لحية مشعثة تماما.. ملابس غير متناسقة وهيئة شخص قام من سريره إلى المدرج مباشرة..

والصدمة بالنسبة للطلاب كانت فى عدم التناسق فى ملابسه فلقد تعودوا أنه الأكثر أناقة بين أعضاء هيئة التدريس بل أيضا بين أعضاء الهيئة المعاونة..

لاحظ فاروق نظرات التعجب والأسى المحملة بالشفقة، والخالية من التأفف..

ولأول مرة فى تاريخه المهنى.. حاول فاروق فى بداية المحاضرة ألا تتلاقى عيناه بعين أى من الطلاب..!!

كانت عيناه تسير بين الوجوه وهى هائمة لا ترى إلا

أطيافهم..

تحرك كالجسد بدون روح وأمسك الميكروفون وتوجه إلى منتصف المدرج وصعد على البنج الأول وجلس عليه حتى يكون كاشفا للمدرج بأكمله كعادته...فهو يحب أن تدور محاضراته بالنقاش فالنقاش دائما ما يجعله قريبا من الطلاب..

فحص المدرج بعينه ولكن هذه المرة باهتمام...كان العدد أمامه يتراوح بين عشرين إلى ثلاثين طالب دراسات عليا..

وقد أنهى معهم منهج الفيزياء الحيوية وليس عنده أى فكرة عما سوف يتحدث عنه.. فكر أن يعتذر ويخرج لكنه لمح بطرف عينيه شاب يلعب فى هاتفه المحمول.. تنبه الطالب أن فاروق يلاحظه فأخفى الهاتف في جيبه..

أشار له فاروق بالوقوف بسبابته...

فتوجس الطالب ووقف مسرعا... كان طويلا ذا شعر أكرت ظهرت به لمعة شديدة أثر كميات الجل التى يستعملها وكان يرتدى تيشيرت أصفر فاقع اللون بطريقة مستفزة ومكتوب عليه: CHAOS KINGSبخطوط حمراء..

اختفت نظرة الغضب فى عيني فاروق وضاقت عيناه ثم سأل الطالب:

- إيه اللى مكتوب على التيشيرت بتاعك دا؟؟

رد الطالب وهو ينظر إلى قميصه فى لمحة خاطفة مصطنعة وكأنه يراه لأول مرة: ملوك الفوضى..

ابتسم فاروق وكأنه بدأ للتو فى اللعب مع الطلاب..

فاروق: اسمك إيه؟؟

رد الطالب فى تردد واضح محاولا إخفاء لقبه خوفا من غضب فاروق الذي من الممكن أن يصبه عليه فى الامتحانات أو الأعمال الفصلية..

الطالب: محمود..

نظر فاروق للطالب ثم تطلع إلى باقي الطلاب ولأول مرة منذ لحظة دخول فاروق المدرج فى هذا اليوم.... يشعر بالثقة وأنه أحكم سيطرته على المكان..

فاروق: يعنى إيه فوضى..؟!

صمت الطالب لبرهة ثم فتح فاه عازما على الرد فقاطعه فاروق بإشارة من يده ليتوقف ثم قال: ثوانى بس.. احنا دلوقتى فى محاضرة فيزياء حيوية..

أنا عايزك تكلمنى كلام علمى يعنى مش عايزك تعرفلى الفوضى من منطلق عام، عرف الفوضى من منظور علمى ومش علمى بس، أنا عايز تعريف من الناحيه الفيزيائية...!!

رفع الطالب كتفيه فى تناغم مع حاجبيه وقال:

- معلش مش فاهم قصد حضرتك..!!

رفع فاروق نظره إلى السقف للحظات ثم قال: لو إنت قاعد على القهوة مع حد من زمايلك..وعدت عليكم بنت لبسها مش مظبوط وجسمها هيطق من هدومها الضيقة.. وساعتها زميلك عينه مسبتهاش وجايباها من شعرها لصوابع رجليها... وإنت ياسيدى بحكم إنك مؤدب هنا قاطع فاروق صوت ضحكات كل من فى المدرج..

فأنزل وجهه ونظر إليهم بغضب فعم الصمت مرة أخرى فى أرجاء المكان..

فأكمل حديثه.. وإنت بحكم أن إنت مؤدب قلت له بلاش زيغان كده عيب..

أنهى فاروق جملته وصمت لبرهة ثم عاودت حديثه موجها إياه لنفس الطالب..

هسألك سؤال بقا... يعنى إيه زيغان..؟!

رد عليه ضاحكا: يعنى بصبصة..

هز فاروق رأسه موافقا وشرع يبحث بين الطلاب على غايتها حتى وجدها قابعة فى سكون لا تجذب الانتباه داخل المدرج أو خارجه..

يمكن أن تمر بجوارها دون أن تعرف أنك مررت على أحد ..

علم فاروق أنها ذات عقل ملتهب..

كانت إحدى الفتيات اللاتى يجلسن دائما فى الصف الأمامى واليوم تجلس وأمامها العديد من الأوراق المبعثرة والقلم يرتعش

بيدها وكائنها تنتظر لحظة الهجوم على الأوراق لتشبع نهمها..

سألها فاروق أن تقف..

فنهضت الفتاة فى حماسة شديدة...

كانت ترتدى خمارا بلون سماوى يكاد يصل إلى ركبتيها ويخلو وجهها من أدوات التزيين الحديثة فلا يكاد يظهر به إلا الكحل الذى أضفى على وجهها الطفولى لفحة نسائية جميلة..

قال لها فاروق سائلا: يعني إيه زيغان..؟!

ردت الفتاة بسرعة البرق: هو مصطلح علمى يقصد به ظهور الأشياء فى غير أماكنها مثل النجوم والأجرام السماوية التى تظهر فى مكان مخالف لموقعها الحالى الحقيقي وهى ظاهره ناتجة عن....

قاطعها فاروق:

اسمك إيه...؟؟

الفتاة: أسماء..

فاروق: شكرا يا أسماء اتفضلي اقعدى..

جلست الفتاة ووجهها يعتليه أمارات الاندهاش التام..

عاد فاروق موجها حديثه إلى الطالب: أظن كده فهمت قصدى..؟!

ثم قفز نازلا من أعلى البنج برشاقة ثم اتجه إلى السبورة والتفت إلى الطلاب فاتحا ذراعيه وكأنه يحتضن المدرج بينهما وقال..

حد بقى يقوم يعرف الفوضى..!!

* * *

فريق جروب

عصير الكتب

https://www.facebook.com/groups/Book.juice/

هذا الكتاب حصري على جروب

عصير الكتب

انضم الينا لتحصل على كل ما هو جديد

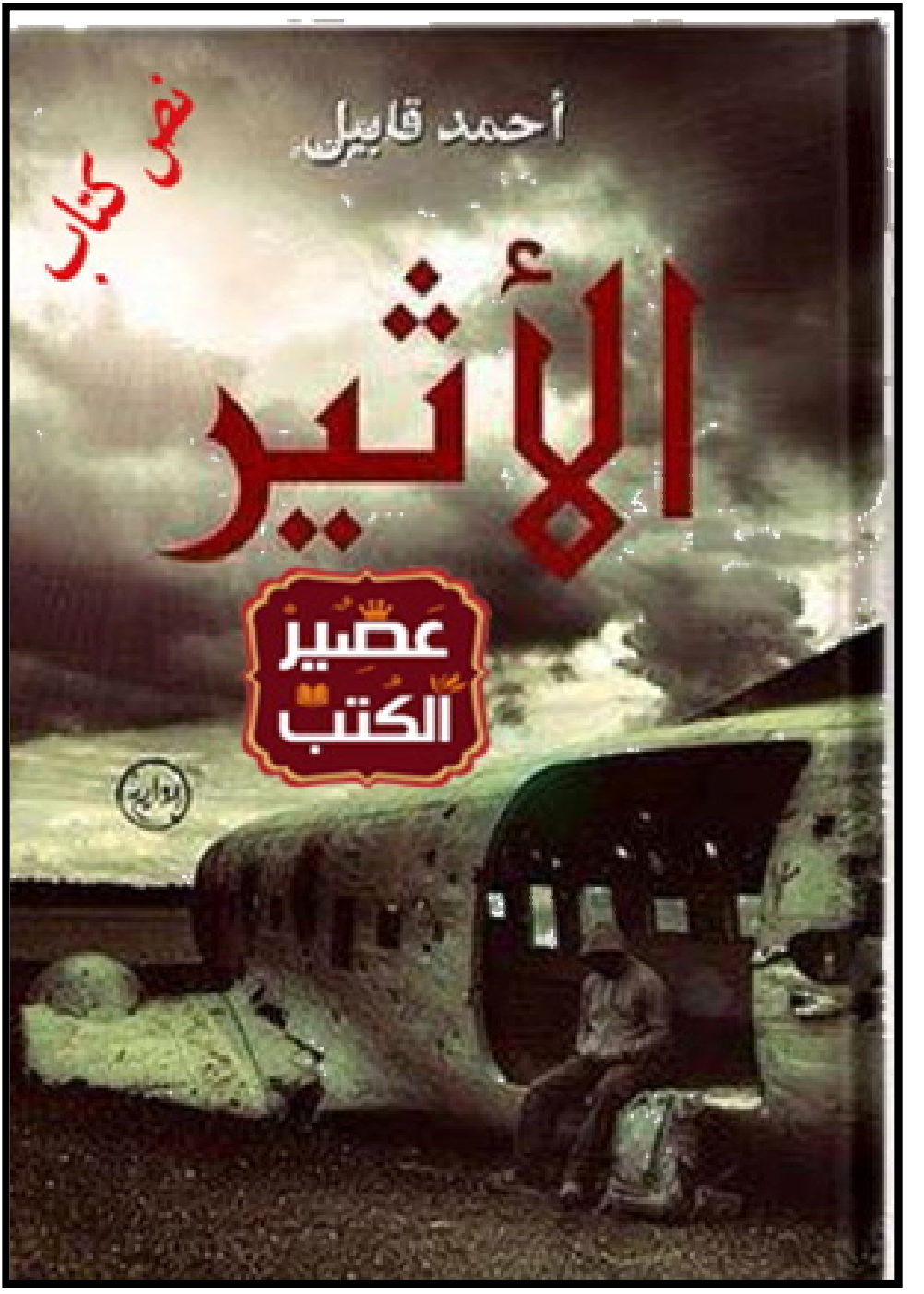
نص كتاب
أحمد قاسم
الأثير
عصير الكتب